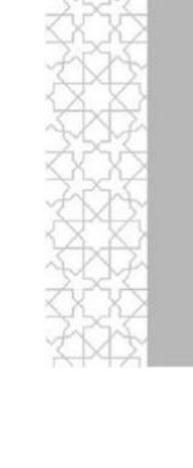
تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع
-دراسة تأصيلية نقدية-

د. أحمد بن عبد الله بن محمد العبد الكريم
قسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع -دراسة تأصيلية نقدية-

د. أحمد بن عبد الله بن محمد العبد الكريم

قسم القرآن الكريم وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٦/ ٦/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٣/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

تأخذ هذه الدراسة والمعنونة بـــ (تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع —دراسة تأصيلية نقدية–) تعريفاً بمفهوم تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع، وحكمه، وشروطه، وموانعه، وتأخذ بضرورة دراسة الأصول العلمية لتفسير مراد الشارع في الغيبيات، وتبرز عناية الصحابة والتابعين بتلك الأصول، وحملهم الأدلة بعضها على بعض.

كما أني تعرضت لأسباب هذه الدراسة التي من أظهرها الانفتاح الشبكي والتقدم التقني الذي ساهم بتوسيع دائرة التأويل بما يصح وما لا يصح.

وألحقت بالبحث في قسمه الثاني نماذج لبعض التأويلات لآي القرآن الواردة في أشراط الساعة التي طالها تأويل يحتاج لعرض ومناقشة، خصصتها بتأويل ما ورد في آيات يأجوج ومأجوج، والآية الواردة في الدابة، والآية الواردة في الدخان، وبينت في كل قضية محل النقد بناء على ما تم تأصيله في القسم الأول من البحث. وبالله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: [تنزيل، الفتن، الساعة].

Revelation of the Verses of Fitnah and the Signs of the Day of Judgment in Reality - A Critical Fundamental Study

Dr. Ahmad Abdullah Al-abdukarim
Department of the Holy Qur'an and its Sciences - College of Usul Uddin
Al-Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract:

This study، which is titled: (Revelation of the Verses of Fitnah and the Signs of the Day of Judgment in Reality - A Critical Fundamental Study)، explained thoroughly the concept of 'Revelation of the Verses of Fitnah and the Signs of the Day of Judgment in Reality'، its ruling، its conditions، and its objections. Therefore، the study aimed at examining the scientific principles to explain religious scholars' justifications of the unseen. Moreover، it highlighted companions' and followers' interest in studying these principles and seeking evidence for them.

In addition، I mentioned the reasons behind conducting this study، most importantly: the openness of social media networks and the massive technical progress in our times، which contributed to expanding the scope of interpretation and the emergence of some correct and some incorrect explanations and interpretations of these verses.

In the second section of the study، I stated some interpretations of Quran verses which contained Signs of the Day of Judgment، as they have many interpretations that need to be examined and discussed. Thus، I devoted this section to the interpretations of Quran verses about Gog and Magog، the verse about the Earth Dabbah (Animal)، and the verse about the smoke. Furthermore، I shed some light on the criticism of each interpretation based on what was established in the first section of the research. May Allah grant us all success.

key words: (Revelation، Fitan، Signs of the Day of Judgment)

المقدمة

الحمد لله، يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون، خلق عباده لتوحيده فقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، وجعل اليوم الآخر مصيراً للثقلين جزاءً وحساباً، ودلَّل عليه بالآيات والأمارات رحمةً للأمة واختباراً، فمن آمن وصدَّق كان من الآمنين، ومن بدَّل وكذَّب كان من الخاسرين.

وصلى الله وسلم على الحبيب المصطفى، والرسول المجتبى، محمد بن عبد الله، خاتم النبيين والمرسلين، القائل: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[١]، وعلى آله الطيبين وأصحابه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الكتاب والسنة -وهما مصدرا التكليف- قد أكَّدا على الإيمان باليوم الآخر، وتكرَّر في نصوصها الإيمان بالمعاد، وطال في كتاب الله الرد على منكريه من أهل العناد، حتى تحقق في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ كونه أحد أركان الإيمان[٢].

ولحكمةٍ بالغةٍ جعل الله لهذا اليوم علامات وأشراط، دلَّ عليها في كتابه الكريم،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق: باب قول النبي (بعثت أنا...): رقم: ٦٥٠٥، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: رقم: ٢٩٥١ .

(٢) الحديث المشار إليه هو حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « بُنِيَ الإسلامُ على خَمسٍ: شهادةِ أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وأَنَّ محمداً رسول الله، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزكاةِ، والحجِّ، وصوْمِ رمضانَ". عند البخاري: كتاب الإيمان: باب سؤال النبي ﷺ رقم: ٥٠, ومسلم في المقدمة رقم: ١.

وجاء تفسيرها وبيانها فيما ضمَّته السنة المطهرة من أحاديث، مما يوجب قصر تأويل الغيبيات في آيات الكتاب وفق القواعد والأصول التفسيرية، دون تأويلٍ بعيد عن البرهان يُكيّف معناها، أو يُبطل فحواها، أو هوىً مُتبَّع يُحقق للنفس مبتغاها.

ولأجله خصّصت هذا البحث لمعالجة ما وقع من التأويل لآيات أشراط الساعة وتنزيلها على واقع المفسر -أيّاً كان زمانه- وعنونت له بـــ: **تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع ـ دراسة تأصيلية نقدية ـ** بينت فيه مفهوم تنزيل آيات أشراط الساعة على الواقع، وحكمه، وشروطه، وموانعه، ثم درست بعض تلك التطبيقات دراسة نقدية.

أسباب اختيار البحث:

يمكن إجمال أسباب اختيار هذا البحث فيما يلي:

أولاً: تلك المحاولات المتتابعة -لاسيما مع الانفتاح الشبكي العالمي- لتنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الواقع وربطها بالأحداث المعاصرة أو المخترعات الحديثة، مما يستدعي مواجهة علمية في تأصيل القواعد والضوابط العلمية لمثل هذه الإسقاطات غير المستقيمة، لتأخذ هذه الدراسة العلمية فرصتها في بيان جوانب الموضوع تأصيلاً ونقداً.

ثانياً: التجديد في معالجة القضايا البحثية العلمية، لا سيما المعاصرة التي توسعت بتوسع الإعلام المرئي والمقروء والمسموع، إما لكثرة نقل الحوادث العالمية، أو المكتشفات العصرية، وفي المقابل توسع المنابر غير المتخصصة، التي تسارع في تطبيق النصوص الشرعية على الواقع.

ثالثا: إظهار جهود المفسرين في أصولهم التفسيرية، والعود إليها في النوازل

الحادثة والوقوف على تعظيمهم فهم النصــوص من الكتاب والســنة ورعايتهم قواعد السلف في تفسير القرآن والسنة، واستدراكهم على التفسير الشاذ.

أهداف البحث:

للبحث أهداف منها:

أولاً: يُسهم الموضوع في الدفاع عن القرآن الكريم وتفسيره، من خلال نقد الطرق غير الصحيحة في تطبيق الآيات على واقعها.

ثانياً: يهدف البحث إلى إظهار خطورة الشذوذ في التفسيير أو التساهل في إحداث قولٍ جديدٍ ليس له أصل، كما يحقق بشروطه وضوابطه إمكان الوصول إلى الحق المراد بالآية.

ثالثاً: من خلال الدراسة يمكن الوصول لمسالك كشف المشكل في بعض التفاسير وإظهار مادةٍ من الاستدراك العلمي بين المفسرين، وبيان طُرق الإعراض والنقد للضعيف من أقوالهم، والتمسك بقواعد التفسير الصحيحة.

***

الدراسات السابقة:

مُقدَّماً لا بد من إشـــارةٍ مهمةٍ في موضـــوع الدراســـة، ليتجلى الفرق بين دراســـتي هذه والدراســـات الســـابقة، وذلك أن تنزيل الآيات على الواقع عند المهتمين به يأخذ مسارين:

الأول: **تنزيل موافقة**: وذلك بتنزيل الآية على واقعٍ متفقٍ مع دلالة الآية، استناداً لقاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[1]، وهو الغالب في الدراسات السابقة للموضوع كما سيأتي -إن شاء الله تعالى-.

الثاني: **تنزيل مخالفة**: وذلك بتنزيل الآية على واقعٍ يخالف النص، والمخالفة إما أن تكون كلية أو جزئية، وهذا المســـار هو الذي يحتاج لمعالجة ونقد، وهو محور هذا البحث، في باب خاصٍّ منه وهو (أشراط الساعة).

وعليه يمكن تقسيم الدراسات السابقة حول هذا الموضوع إلى قسمين:

الأول: في تنزيل آيات الفتن وأشــراط الســاعة على الواقع، ومعالجة الخطأ التفسيري فيها ،وهو الذي لم أقف على من كتب بخصوصه، مع أهميته المجملة آنفاً في الأسباب والأهداف.

الثـاني: في عموم تنزيـل الآيات والأحـاديـث على الواقع، وفيـه عـدد من الدراسات تنقسم إلى المسارين المشار إليهما آنفاً، ومنها:

١-تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر مطبوعات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ، ومفهومه في التنزيل هو: ربط الآية بواقع المفسر، فإذا مرَّ المفسر

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: (١١٠/١) .

على آية من كتاب الله، تُلامس واقع عصره،كانتشار الرشوة أو الفواحش جعلها مثالاً للتنزيل على الواقع، واقتصر في التطبيق بهذه الطريقة على مفسِّرين اثنين هما: محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ) في تفسيره المنار ،وعبد الحميد بن باديس(١٣٥٨هـ) في مجالس التذكير، وأما القضايا النقدية في التنزيل المعاصر فأعرض عنها الباحث بقوله: (ولم أتطرق لقضايا التفسير العلمي والاكتشافات الحديثة التي اجتهد فيها كثير من الباحثين بتنزيل الآيات عليها؛ لأنه موضوع شائك وفيه من الطول والعرض ما يؤهله لأن يكون رسالة علمية مستقلة)[١] .

٢-تنزيل الآيات عند ابن القيم، د.يحيى بن محمد زمزي، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الرابع -السنة الثالثة، واستنطق الباحث موضوعه من رسالة د. الضامر -المذكورة آنفاً- كما نصَّ عليه في المقدمة، وعمله في التطبيق لا يبعد عن الرسالة السابقة ، حيث جعل موضع الشاهد من الآية على عصر ابن القيم تطبيقاً، وضمَّنها مشاهدات ابن القيم من أهل البدع التي يرد عليها بالقرآن وجعلها من الربط بالواقع.

٣-معالم ومنارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث، عبد الله صالح العجيري، من مطبوعات الدرر السنية، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، والبحث دراسة تأصيلية في مجملة، جعله المؤلف عامّاً للأحاديث، دون تخصيص الآيات بدراسة نقدية، وستأتي الإشارة للفروق العامة بعد ذكر الدراسات.

---

(١) تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين: (١٥).

٤- موقف أهل السنة والجماعة من تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الحوادث (السفياني أنموذجاً) إعداد: زاهر بن محمد بن سعيد الشهري، رسالة ماجستير في مسار العقيدة قسم الدراسات الإسلامية –جامعة الملك سعود، وهي دراسة تأصيلية مفيدة في شقها الأول وتطبيقية على ما ورد في السفياني في شقها الآخر.

الفرق بين دراستي والدراسات المذكورة:

يمكن إجمال الفروق بين هذه الدراسات ودراستي: أن دراستي هنا تهدف لبيان خطورة الشذوذ الكلي أو الجزئي في تفسير القرآن الكريم في باب مخصوص منه، وهو: (آيات الفتن وأشراط الساعة) بخلاف الدراسات السابقة فهي تأخذ واقع التنزيل المعاصر بمعنى الاستشهاد بالآية على واقع العصر، كما في البحثين الأولين، أو تُغلّب جانب الدراسة التأصيلية في باب أشراط الساعة دون الدراسة التطبيقية، ومع التقاء الدراسة التأصيلية مع الدراستين الأخيرتين في بعض المواضع، إلا أن النماذج والأدلة والشواهد فيها كانت باستقراء خاصّ من الباحث أخذ وقتاً طويلاً، وانفرد الجانب التطبيقي عن الدراسات السابقة.

ولما رأيت من أهمية الموضوع، عزمت بعد توفيق الله على الكتابة فيه مراعياً الحدود البحثية له والمتمحورة في التعريف بقضية البحث من خلال العنوان، ثم حكم وشروط وضوابط تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع، ثم دراسة تطبيقية نقدية على بعض الآيات المتأولة في الباب.

منهج البحث:

انتهجت منهجاً علمياً في إعداد البحث أُجمله فيما يلي:

أولاً: قسَّمت البحث قسمين: دراسة تأصيلية، ودراسة نقدية، اختُصت الأولى بالتعريف بمصطلحات البحث، وحكم تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على واقع المفسر المعاصر، وشروطه، وضوابطه، وموانعه، كما تناولت الدراسة النقدية بعض آيات أشراط الساعة بإسقاطها على واقع معين، مع دراسة ذلك التأويل في ضوء القواعد التفسيرية كما هو مثبت في خطة البحث.

ثانياً: اعتمدت المصادر الأصيلة في المراجع الحديثية وكتب التراث العلمي.

ثالثاً: التزمت كتابة الآيات القرآنية بالخط العثماني، مع بيان اسم السورة ورقم الآية بعدها.

رابعاً: خرَّجت الأحاديث النبوية من مصادرها، ودواوينها بذكر المصدر ورقم الحديث، وإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالإحالة عليهما، وجعلت النص النبوي بين قوسين: « » .

خامساً: وثَّقت النقول من مصادرها ومراجعها، وأثبت بيانات المراجع في فهرسها آخر البحث.

سادساً: عند إيرادي لعلم من الأعلام في متن البحث ممن نقلت عنهم أكتفي بذكر تأريخ وفاته بين قوسين عقب وروده، دون ما يكون في المنقول من الأقوال أو الأسانيد والروايات.

سابعاً: ختمت البحث بخاتمة، فيها أظهر النتائج .

خطة البحث:

أولاً: المقدمة وفيها: أهمية الموضـــوع، وأســـباب اختياره، وأهدافه، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، والخطة البحثية .

ثانياً: الدراسة وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الدراسة التأصيلية ، وفيها أربعة فصول:

الفصل الأول: التعريف بمصطلح تنزيل الآيات لغة واصطلاحاً .

الفصل الثاني: التعريف بالفتن وأشراط الساعة لغة واصطلاحاً .

الفصل الثالث: حكم تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع.

الفصل الرابع: ضوابط تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع.

القسم الثاني: الدراسة النقدية: وفيها تمهيد ودراسة لبعض التأويلات، وذلك وفق الآتي:

الفصل الأول: تأويل الآيات الواردة في فتنة يأجوج ومأجوج.

الفصل الثاني: تأويل الآية الواردة في الدابة .

الفصل الثالث: تأويل الآية الواردة في الدخان .

الخاتمة وفيها أظهر النتائج، ثم فهرس الموضوعات .

سائلاً العلي القدير سبحانه أن يكون هذا البحث إسهاماً في تقويم ما حصل من تنزيل آي القرآن الكريم على بعض الحوادث دون بينة أو أصـــل شـــرعي، وأن يجعله موافقاً لأصول قواعد السلف في تفسير القرآن الكريم، والله من وراء القصد.

القسم الأول: الدراسة التأصيلية

الفصل الأول: التعريف بمصطلح تنزيل الآيات لغة واصطلاحاً:

التنزيل في اللغة: مصدر نَزَلَ وهو دال على الهبوط، قال ابن فارس (ت:٣٩٥هـ): (النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه. والتنزيل: ترتيب الشيء ووضعه منزله)[١] .

وفي مختار الصحاح: (التنزيل أيضا الترتيب)[٢]، والآيات جمع آية، وأصلها كما يقول ابن منظور(ت: ٧١١ هـ): (وأَصل آية أَوَيَةٌ، بِفَتْحِ الْوَاوِ، وَمَوْضِعُ الْعَيْنِ وَاوٌ، وَالنِّسْبَةُ إِليه أَوَوِيّ، وَقِيلَ: أَصلها فَاعِلَةٌ فَذَهَبَتْ مِنْهَا اللَّامُ أَو الْعَيْنُ تَخْفِيفًا، وَلَوْ جَاءَتْ تَامَّةً لَكَانَتْ آيِيَةً)[٣] ولها في اللغة عدة إطلاقات فتطلق على العلامة الظاهرة، والأمارة، والعبرة. قال في تاج العروس: (سُمِّيَتِ الآيَة مِنَ الْقُرْآنِ آيَةً؛ لأَنها عَلَامَةٌ، لِانْقِطَاعِ كَلَامٍ مِنْ كَلَامٍ. وَيُقَالُ: سُمِّيَتِ الآيَة آيَةً؛ لأَنها جَمَاعَةٌ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ. وَآيَاتُ اللَّهِ: عَجَائِبُهُ. وَقَالَ ابْنُ حَمْزَةَ: الآيَة مِنَ الْقُرْآنِ كأَنها الْعَلَامَةُ الَّتِي يُفْضَى مِنْهَا إِلى غَيْرِهَا كأَعلام الطَّرِيقِ الْمَنْصُوبَةِ لِلْهِدَايَةِ)[٤].

وأما التعريف الاصطلاحي المقصود بتنزيل الآيات فهو: (تطبيق واقع معينٍ مشهودٍ، في زمنٍ حاضرٍ أو غابر، على مدلول آية من آيات أشراط الساعة في القرآن الكريم) ، فالمعاصرة متعلقة بالمفسر وواقعه).

---

(١) مقاييس اللغة: (٥ /٤١٧).

(٢) مختار الصحاح: (٣٠٨)

(٣) لسان العرب: (١٤ /٦١)

(٤) تاج العروس: (مادة أيي)

الفصل الثاني: التعريف بالفتن وأشراط الساعة لغة واصطلاحاً:

الفتن جمع فتنة، **وهي في اللغة** الابْتَلاءُ والامْتِحَانُ: قال الأزهري (ت: ٣٧٠ هـــ) في تهذيب اللغة: (جِمَاعُ مَعْنى الفِتْنَةِ في كلام العرب الابْتَلاءُ والامْتِحَانُ وأصــلها مأخوذٌ من قولك: فَتَنْتُ الفِضّــةَ والذَّهَبَ إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجَيِّد)[١].

ويقول ابن فارس(ت: ٣٩٥ هـ): ((فتن) الفاء والتاء والنون، أصــلٌ صــحيح يدلُّ على ابتلاء واختبار)[٢].

ويذكر اللغويون لهذا المصــطلح معانيَ ترجع إليه وتتفرع منه أطال في نقلها وبيانها ابن منظور(ت: ٧١١ هـ) في لســـان العرب[٣]، وأشـــار لكثرتها في وجوه اللسان العربي ابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ) في التمهيد[٤] .

وأما التعريف الشرعي للفتنة فهي ما ينكشف بعد البلاء والاختبار عن السـوء، والتحول من الحســن إلى الســيء، على هذا يدور تعريف أهل العلم، وإليك بيان شيء من ذلك:

يقول القاضي عياض (ت: ٥٤٥ هـ): (أصل الفتنة فى كلام العرب: الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم صــارت فى عرف الكلام لكل أمر كشــفه الاختبارُ عن ســـوء. قال أبو زيد: فُتن الرجلُ يُفْتَنُ فتوناً إذا وقع فى الفتنة، وتحوَّل عن حال حسَـنةٍ إلى سيئةٍ، وفتنة الرجل فى أهله وماله وولده صـرفه من فرط محبته

---

(١) تهذيب اللغة: (٢١١/١٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة: (٤٧٢/٤).

(٣) انظره: (٣١٧/١٣).

(٤) التمهيد: (٢٢ / ٢٤٨).

لهم وشُحِّه عليهم وشغله بهم عن كثير من الخير، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ التغابن: ١٥، وقوله ﷺ: «**الولدُ مجبنةٌ مبخلةٌ** »[١]، أو لتفريطه في القيام بما يلزم من حقوقهم ومن تأديبهم وتعليمهم كما قال: «والرجل راع على أهله، وكلكم مسؤول عن رعيته»[٢] وكذلك فتنته في جاره من هذا)[٣].

وقال الشوكاني(١٢٥٠ هـ): (أَصلُ الْفتنة في كلام العرب: الاختبار، قال الله تعالى: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾ طه: ٤٠ اختبرناك اختبارًا، إلا أَنَّ لفظ الفتنة إذا أطلق فإنَّمَا يستعمل غالبًا فيمنْ أخرجهُ الاختبار عن الحقِّ، يقال فلانٌ مفتونٌ بمعنى أنه أُخْتُبِرَ فوُجِدَ على غير الحقّ)[٤].

ويربط الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ): في التعريفات بين المعنى الشرعي واللغوي في قوله: (الفتنة: ما يبيَّن به حال الإنسان من الخير والشر، يقال: فتنت الذهب بالنار إذا أحرقته بها، لتعلم أنه خالص أو مشوب، ومنه الفتَّان وهو الحجر الذي يجرَّب به الذهب والفضة)[٥].

والمقصود بالفتنة هنا مع سعة إطلاق هذا المصطلح شرعاً: هو ما يجري في الفتن العظام الدالة على قرب الساعة، كفتنة المسيح الدجال، وفتنة يأجوج

---

(١) أخرجه ابن ماجة في أبواب الأدب, باب بر الوالد والإحسان إلى البنات, رقم (٣٦٦٦), وأحمد برقم: (١٧٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح, باب قوا أنفسكم وأهليكم ناراً: رقم (٥١٨٨).

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: (١/٢٩٨).

(٤) المنتقى شرح الموطأ: (١/٢٣١).

(٥) التعريفات: (٢٤٣).

ومأجوج، ولاريب أنها فتنٌ يَميز الله فيها الخبيث من الطيب، ويبتلي بها ثبات المؤمن وصبره.

وأما أشــراط الســاعة فهو مصــطلح مركب من جزئين، الأول: أشــراط، والثاني: الساعة، ويحسن بيان المراد بكل منها وفق الآتي:

فالأشــراط: جمع شَــرَط، بفتح الأول والثاني، وأما الشَّــرْط بتســكين الراء فجمعه شروط، جاء في المصباح المنير: (وجمع "الشَّرْطِ" "شُرُوطٌ" مثل فلس وفلوس والشَّرَط بفتحتين: العلامة والجمع "أَشْرَاطٌ" مثل سبب وأسباب ومنه "أَشْــرَاطُ" الســاعة)[1]، وقال ابن منظور (ت: ٧١١ هـ): (الشَّــرَطُ بالتحريك العلامة، والجمع أَشْــراطٌ، وأَشْــراطُ الســاعةِ أَعْلامُها، وهو منه، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴾ محمد: ١٨، والاشْــتِراطُ العلامة التي يجعلها الناس بينهم، وأَشْــرَطَ طائفةً من إِبله وغنمه عَزَلَها وأَعْلَمَ أَنها للبيع)[2].

وتُطلق الأشــراط ويراد بها أوائل الشــيء وهي تعود على المعنى الأول، قال في اللسان: (وأَشْراطُ الشيء أَوائلُه، قال بعضهم: ومنه أَشراطُ الساعةِ، وذكرها النبي ﷺ، والاشتقاقان مُتقاربان، لأَن علامة الشيء أَوَّله، ومَشارِيطُ الأَشياء أَوائلها كأَشْــراطِها، وأَشْــراطُ كلِّ شــيء ابتداء أَوَّله، قال الأَصــمعي: أَشْــراطُ الساعةِ علاماتها)[3].

---

(١) المصباح المنير: (١٦٢/١).

(٢) لسان العرب: (٣٢٩/٧).

(٣) المرجع الســابق, وانظر: النهاية في غريب الحديث: (١١٤٠/٢), تاج العروس: (٤٠٥/١٩), تهذيب اللغة: (٢١٠/١١).

والحاصل أن الشَّرط: العلامة وأول الشيء.

وأما الساعة: فلها عدة إطلاقات في اللغة، غير أنها ترجع في الأصل إلى معنيين، كما ذكر ابن منظور(ت: ٧١١ هـ) ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والسَّاعة في الأَصل تطلق بمعنيين، أَحدهما: أَن تكون عبارة عن جزء من أَربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم والليلة، والثاني: أَن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أَو الليل، يقال: جلست عندك ساعة من النهار أَي وقتاً قليلاً منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة)[1]، ومن إطلاقه على الجزء من النهار قوله ﷺ: «إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة»[2].

وأورد لها اللغويون معانيَ أُخرَ منها:

١. الوقت الحاضر، قال الجوهري (ت: ٣٩٣ هـ): (الساعة: الوقت الحاضر، والجمع الساع والساعات)[3].

٢ . المشقة، قال ابن منظور (ت: ٧١١ هـ) : (والسّاعُ والسّاعةُ المَشَقَّةُ والساعة البُعْدُ وقال رجل لأَعرابية: أَين مَنْزِلُكِ ؟ فقالت: أَمَّا على كَسْلانَ وانٍ فَساعةٌ وأَمَّا على ذِي حاجةٍ فَيَسِيرُ)[4].

وإطلاقها في كلام الشارع الحكيم يراد به القيامة، قال الزّجَّاج (ت: ٣١٦ هـ) :

---

(١) لسان العرب: (١٦٩/٨), وانظر: تهذيب اللغة: (٧٥/٣), النهاية في غريب الحديث: (١٠٣٣/٢), تاج العروس: (٢٤١/٢١), المصباح المنير: (٢٩٥/١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج: (١٣٥٣).

(٣) الصحاح: (٣٦٨/٤).

(٤) لسان العرب: (١٦٩/٨).

(معنى الساعة في كُلِّ القُرآن: الوقت الذي تَقُوم فيه القيامة)[1] يُريد أنها ساعة خَفيفَة يَحدُثُ فيها أمرٌ عظيمٌ، فلقلَّة الوقت الذي تقُوم فيه سَمَّاها ساعة[2]. وقيل إنها سمّيت ساعة، لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت الخَلْقُ كلُّهم عند الصيحة الأولى التي ذكرها الله، ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ يس: ٢٩[3].

والساعة هنا يراد بها ثلاث قيامات، كما قال الراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢هـ): (السَّاعاتُ التي هي القيامَةُ ثلاثٌ: السّاعَةُ الكُبرى، وهي بعث النّاس للمُحاسَبَةِ، وهي التي أَشارَ إليها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «لا تَقومُ السّاعَةُ حتّى يَظْهَرَ الفُحْشُ والتَّفَحُّشُ، وحتّى يُعْبَدَ الدِّينارُ والدِّرْهَمُ»[4]، وذكَرَ أُموراً لَمْ تحدُث في زَمانه ولا بعدَه. والسَّاعَةُ الوُسطى، وهي مَوتُ أَهل القَرْنِ الواحِدِ، وذلكَ نَحو ما رُوي أَنَّه رأَى عَبْد الله بنَ أَنيسٍ فقال: «إنْ يَطُلْ عُمْرُ هذا الغُلامِ لم يَمُتْ حتّى تقومَ السّاعَةُ»[5] فقيل: إنَّه آخرُ مَن ماتَ من الصَّحابَة. والسّاعةُ الصُّغرى: وهي مَوتُ الإنسانِ، فساعَةُ كلِّ إنسانٍ: موتُهُ، وهي المشارُ إليها بقوله ﷻ: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ الأنعام: ٣١ ، ومَعلومٌ أَنَّ هذا الخُسْرَ يَنالُ الإنسانَ عندَ مَوتِه، وعلى هذا رُوِيَ أَنَّه ﷺ

---

(١) معاني القرآن: (٤/٤٢٠).

(٢) لسان العرب: (٨/١٦٩)، النهاية في غريب الحديث: (٢/١٠٣٣)، تاج العروس: (٢١/٢٤١).

(٣) تهذيب اللغة: (٣/٧٥).

(٤) أخرجه أحمد بغير هذا اللفظ رقم: (٦٨٧٢), ولم أقف على اللفظ المذكور.

(٥) أخرجه البخاري: كتاب الأدب: باب ماجاء في الرجل ويلك: رقم: (٦١٦٧), ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٩٥٢).

كانَ إذا هبَّتْ ريحٌ شَـديدةٌ تَغيَّرَ لونُه فقال: «تَخَوَّفْتُ السّـاعَةَ»[١] وقال: «ما أَمُدُّ طَرْفِي ولا أَغُضُّها إلاّ وأَظُنُّ السّاعةَ قد قامَتْ»[٢])[٣].

ومما تقدم يتبين أن المراد بأشـراط السـاعة: أمارات قيام القيامة وعلاماتها، قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) : (وأشـــراط الســـاعة: علاماتها)[٤]، وقال الأزهري (ت: ٣٧٠هـ): (قال أبو سَعِيد: أشْراط السَّاعة عَلاماتُها، و أَسْـبابُها التي هي دون مُعْظمها وقِيامها، قال: وأشـراطُ كلِّ شـيء ابْتِدَاءُ أوّله)[٥]، قال ابن عبد البر (ت: ٤٦٣ هـ): (أشـــراط الســـاعة ظهور علاماتها)[٦] قال تعالى: ﴿ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ ﴾محمد:١٨، قال ابن كثير: (ت: ٧٧٤ هـ): (أي: أمارات اقترابها)[٧].

***

---

(١) لم أقف عليه بلفظه هذا, والمروي عند مسـلم في تخوفه من العذاب:كتاب صـلاة الاسـتسـقاء: (٨٩٩)

(٢) لم أقف على تخريجه فيما بين يدي من المصادر.

(٣) المفردات: (٢٤٨).

(٤) الصحاح: (٢٧٣/٤).

(٥) تهذيب اللغة: (٢١١/١١).

(٦) الاستذكار: (٣٥٤/٧).

(٧) تفسير القرآن العظيم: (٣١٥/٧).

الفصل الثالث: حكم تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع.

تجدر الإشارة قبل تناول الحكم، إلى أن المطابقة بين النص الشرعي والواقع العيني، هو في الواقع شهادة النص الشرعي بواقع النص الغيبي، فيشهد المتأول أن هذه الواقعة المعينة، هي التي أخبر الله عنها بوحيه، وأنَّ ما وقع هو تأويلها، فإذا استحضر هذا، أوجب أن لا يتكلم إلا بما يُرضي الله ﷻ.

إذا تقرر هذا، فإن تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة من الكتاب والسنة على الواقع جائز في الأصل، للأدلة التالية:

١- ما روى البيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال:جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة، ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ الأحزاب:١٤ قال: (لأعطوها، يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على المدينة)[١].

٢- روى الإمام أحمد في مسنده من حديث مطرف بن عبد الله الشخير قال: قلنا للزبير رضي الله عنه: يا أبا عبد الله، ما جاء بكم؟ ضيعتم الخليفة حتى قتل ثم جئتم تطلبون بدمه! قال الزبير رضي الله عنه إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الأنفال: ٢٥. لم نكن نحسب أنا

(١) أخرجه البهقي في دلائل النبوة: باب ما روي عن النبي ﷺ في إخباره بقتل أهل الحرة, فكان كما أخبر: (٦/٤٧٣).

أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت[1].

٣- روى ابن ماجة عن قيس بن أبي حازم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: (وددت أن عندي بعض أصحابي) قلنا: يا رسول الله: ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: (نعم) فجاء فخلا به، فجعل النبي ﷺ يكلِّمه ووجه عثمان يتغيَّر، قال قيس: فحدثني أبو سهلة مولى عثمان: أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً، فأنا صائر إليه، وقال علي في حديثه: وأنا صابر عليه، قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم[2].

٤- أخرج مسلم في صحيحه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ حدثنا: (أن في ثقيف كذاباً ومبيراً) فقالت رضي الله عنها للحجاج لما جاءها بعد مقتل عبد الله بن الزبير: فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه، فقام عنها ولم يراجعها[3]، وعند الحاكم في المستدرك أن الحجاج تأوَّل قول أسماء رضي الله عنها بقوله: صدق رسول الله ﷺ وصدقتِ، أنا المُبير، أبير المنافقين[4]، قال النووي (ت:٦٧٦): (واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم: (١٣٤٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة في المقدمة: فضل عثمان رضي الله عنه: رقم: (١١٣).

(٣) أخرجه مسلم: ذكر كذاب ثقيف ومبيرها: رقم: (٢٥٤٥).

(٤) أخرجه في المستدرك برقم: ٨٦٠٣: (٥٧١/٤).

هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن يوسف والله اعلم)[1].

٥- وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل!» فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من النار» قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته[2].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: (١٦/١٠٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام: رقم: ٣٦١٠, ومسلم: كتاب الزكاة: رقم: (١٠٦٤).

وجواز تعاطي الأدلة بمطابقة الواقع، مشروط بشروطٍ يمكن حصرها في تسعة[1]:

أولاً: أن يكون المتعاطي مع الأدلة عالماً يصح اجتهاده في فهم النص[2].

ثانيًا: أن يكون عالماً باللغة العربية، لأنها لغة النص[3].

ثالثًا: أن يكون مُلماً بطرق التفسير،وآكدها في هذا الباب تفسير الكتاب بالسنة مع تمييز الصحيح من الضعيف في مروياتها[4].

رابعًا: أن يكون على دراية بالجمع بين النصوص ومعرفة المتقدم من المتأخر،

---

(١) اجتهدت في استقصائها بعد النظر في الأدلة .

(٢) وهذا يخرج العامة أو المثقفين الذين يجهلون على النصـــوص بتطبيقاتهم, ومن خلال التتبع فهذا الصـنف من أجرأ الناس على التأويلات التي تجر الأشـراط الكبرى كالمهدي والمسيح ليومنا هذا !, ولو تُرك التأويل لهؤلاء لاندرست مقاصد الشارع من ذكر نصوص الفتن والأشراط.

(٣) من تطبيقاته: معنى (تُكلِّمهم) الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ النمـل: ٨٢, هـل هو من (الكَلْم) الذي هو الجرح؟ أم هو من الكلام؟ وسيأتي له مزيد بحث في القسم الثاني من هذا البحث.
ومن تطبيقاته أيضـاً: ترتيب الأشـراط في الظهور لمعنى أدوات العطف, كما في حديث عوف بن مالك عند البخاري: (٣١٧٦): أن النبي ﷺ قال: «اعدد سـتاً بين يدي السـاعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضـة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل سـاخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا» .

(٤) مع كون السـفياني لم يصـح فيه حديث, إلا أن تطبيقات المعاصـرين لواقع السـفياني كثيرة!, والسفياني مختلف فيه, هل هو شـخص أو وصـف؟ فيه أقوال ليس لها مستند, يُنظر في الدراسة حوله: موقف أهل السـنة والجماعة من تنزيل نصـوص الفتن وأشـراط السـاعة على الحوادث, السفياني أنموذجاً: (٢٩٤-٢٩٥).

والناسخ من المنسوخ(١).

خامسًا: أن لا يتعجَّل الحكم بتأويل النص على الواقعة حتى تتم الواقعة وتنتهي(٢).

سادسًا: أن يتثبت من الهيئات والصفات الواردة في النص ما يدل على تحقّق الشَّرط، حتى تتفق مع تطبيقه على الواقع(٣).

---

(١) ينظر الجمع بين خوف النبي ﷺ حين كسفت الشمس أن تكون الساعة, وبين الأشراط التي ذكر النبي ﷺ أنها بينه وبين الساعة: فتح الباري: ٥٤٦/٢, وكذلك الجمع بين إقرار النبي ﷺ لمن أقسم أن ابن صياد هو الدجال, وبين كونه متأخراً عن زمن النبي ﷺ, انظر: (فتح الباري: ٣٢٨/١٣) , نيل الأوطار: (١٠/٨), وكذلك الجمع بين كون محمد بن عبد الله هو المهدي وبين كون عيسى ابن مريم مهدي أيضاً, انظر: المنار المنيف: (١٤٨) , النهاية في الفتن وأشراط الساعة: (٢٧/١).

(٢) يؤخذ هذا من فعل الصحابة ﷺ, فقد حَرِص ابن مسعود ﷺ على عدم استعجال الحكم على الوقائع لمطابقة بعض الخبر, جاء عند الطبراني في المعجم الكبير (رقم: ١٠٥٠٤:ج ٢١٣/١٠) من حديث عمير بن سعيد قال: (كنا جلوساً مع ابن مسعود ﷺ و أبو موسى عنده, وأخذ الوالي رجلاً فضربه وحمله على جمل, فجعل الناس يقولون: الجمل الجمل, فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن هذا الجمل الذي كنا نسمع قال: فأين البارقة ؟) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ١٦٧) (ورجاله رجال الصحيح) ا.هـ, والبارقة هي السيوف, قال القاضي عياض: بارقة السيوف أصله لمعانها وسميت السيوف بوارق. ا.هـ انظر: (مشارق الأنوار على صحاح الآثار:١ / ٨٥), وقال الشيخ حمود التويجري: (يريد أن الجمل الذي كانوا يسمعون عنه يكون عنده مَقْتلةٌ تَبرق فيها السيوف, أي تلمع عند الضرب بها, وليس هذا به) ا.هـ انظر: (اتحاف الجماعة: ١٧٦/١).

(٣) ولعل من تطبيقاته: ما أخرجه الشيخان من قول أبي سعيد الخدري ﷺ في قول النبي ﷺ: «آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر, ويخرجون على حين =

سابعًا: أن يراعي الترتيب الزمني لتسلسل أشراط الساعة بعامة، فلا يتأول كسر الصليب وقتل الخنزير قبل نزول عيسى ﷺ[1].

ثامنًا: أن لا يكون الدافع هو تأويل النص على الواقع، إنما وقوع الحدث هو القاضي على أهل العلم بتأصيله من نصوص الوحي، لا سيما وأهلُ العلم هم أبصر الناس بالفتن[2].

تاسعًا: أن لا يُحكِّم العقل قبولاً أو إعراضاً فيما ثبت أنه من أشراط الساعة،

فرقة من الناس» قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه, فأمر بذلك الرجل فالتمس, فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته, ومن شواهده أيضاً: ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه برقم: (٩١٨٠) عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في صفة من يهدم الكعبة: كأني أنظر إليه أصيلع أفيدع قائما عليها بمسحاته. قال مجاهد: فنظرت حين هدمها ابن الزبير وهي تُهدم هل أرى صفته, فلم أرها.

(١) جاء في بعض النصوص تسلسل أشراط الساعة وترتيب ظهورها, من ذلك ما خرجه أبوداود (٤٢٩٤) في سننه من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب, وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية, وفتح القسطنطينية خروج الدجال», ومما يستدل به لهذا الشرط أيضاً ما جاء في صحيح مسلم (٢٨٩٩) من حديث يسير بن جابر قال هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة, قال: فقعد وكان متكئاً, فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة, ثم قال بيده هكذا ونحّاها نحو الشأم فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام, ويجمع لهم أهل الإسلام, قلت: الروم تعني؟ قال: نعم...).

(٢) ادعاء المهدية –على سبيل المثال- في تاريخ الإسلام كانت لتعجُّل تنزيل نصوصه, ومحاولة تهيئة الظروف للمناداة به, فكانت أداة تنزيل النص مفقودة؛ بسبب الاعتداء على النصوص بالتعجل في التنزيل على الواقع.

سواء عند حدوث الواقعة أو عند استعراض النص، فبعض الأشراط على خلاف ما يدركه العقل ويشاهده، لكونها خارقة للعادة، كالدابة التي تُكلِّم الناس، أو جنة الدجال وناره، أو هيئة نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، أو فتح المسلمين للقسطنطينية بالتكبير والتهليل...وغالب الأشراط الكبرى من ذلك الجنس.

ولما كان تنزيل النص على الواقعة قولاً يتصل بقضاء الشارع الحكيم، كان سلف هذه الأمة أشدّ احتياطاً وأكثر تحرياً من تجشم القول على الله بغير علم، ومن أبرز سماتهم في التحرِّي، أنهم لا يتعجَّلوا القضـــاء بالواقعة وِفق ما ورد في الحديث، كما أنهم أهل سؤال واستثبات لمن هو أعلم منهم، ولأهمية منهجهم رضي الله عنهم لابد من إبراز بعض الشواهد الدالة على هذا الأصل وذلك فيما يلي:

١- إنكار ابن مسعود رضي الله عنه لمن زعم قيام الساعة لَمَّا رأى ريحاً حمراء قد هاجت، فجاء الرجل فزعاً، يدَّعي قيام الساعة، فذكَّره ابن مسعود رضي الله عنه بمراعاة تسلسل أشراط الساعة، وعدم إمكان تقدمها على أشراطها، وأنكر عليه حكمه بقوله: (إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراث ولا يُفرح بغنيمة!)[١].

٢- إرشاد ابن مسعود رضي الله عنه لضرورة مطابقة الواقعة كل ما ورد في النص، ويؤخذ هذا من أثر عمير بن سعيد؛ إذ قال: (كنا جلوسا مع ابن مسعود رضي الله عنه وأبو موسى عنده، وأخذ الوالي رجلاً فضربه وحمله على جمل، فجعل الناس

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٨٩٩).

يقولون: الجمل الجمل، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن هذا الجمل الذي كنا نسمع قال: فأين البارقة ؟)[١].

٣- حرصهم على التثبت من الخبر الغيبي والتأكد من صحته، وهي سمة من سماتهم رضي الله عنهم ومن دلائله ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقّاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر، فدنوت منه فقلت له: **أنشدك الله آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ فأهوى إلى أذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أذناي ووعاه قلبي**[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٠/ ١٠٥٠٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة: رقم: (١٨٤٤).

٤- عدم الجزم فيما اتفق فيه الحدَث والحديث –النص- في ظاهر الأمر، فقد تبدأ الواقعة مطابِقة لما ورد في النص الشرعي، ثم تتم على خلاف ذلك، فكانوا لا يقطعون بالمطابقة في بادئ الأمر، وشاهدُ ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أمية بن صفوان أنه سمع جده عبد الله بن صفوان يقول: أخبرتني حفصة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم» فقال رجل: أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبي ﷺ[١]، زاد ابن ماجة في قول عبد الله بن صفوان: فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم[٢]، فلم يجزموا بذلك وينزلوه على الخبر ويتنادوا به، يؤكد ذلك رواية الإمام مسلم الأخرى لهذا الحديث من طريق يوسف بن ماهك أن عبد الله بن صفوان أخبره عن أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ قال: «سيعوذ بهذا البيت -يعني الكعبة- قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة، يُبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم» قال يوسف: وأهل الشأم يومئذ يسيرون إلى مكة فقال عبد الله بن صفوان: أما والله ما هو بهذا الجيش[٣].

٥- سؤالهم لأهل العلم عمَّا يشكل عليهم في مطابقة الأحاديث للواقع، وعدم

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: رقم: (٢٨٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجة: كتاب الفتن: باب جيش البيداء: (٤٠٦٣).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٨٨٣).

التعجل بالقطع بوقوعها دون الرجوع لقولِ العلماء وجمهورِ أهل الحق، وعدمُ الاكتفاء بما ينقدح في الذهن ويغلب رجحانه على الظن، وذلك اسشعاراً منهم لحرمة النصوص الشرعية وتعظيمها، وخوفاً من القول على الله بغير علم، يشهد لذلك ما رواه مسلم في صحيحه من حديث الجريري عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله فقال يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشأم أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي، قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، ثم سكت هنية ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عددا»، قال- الجريري-: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أترِيان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا[1].

٦- تحقُّقهم من الصفات الواردة في حديث النبي ﷺ للرجال المذكورين بنعتٍ في أشراط الساعة، فتخريب الكعبة آخر الزمان ثبت في الصحيحين والمسند وغيرهما بصفاتٍ بينها النبي ﷺ، فإن اتفق لها هدم فإنه لا ينزل على تخريب آخر الزمان إلا أن يكون على صفته وخبره، ومن صفته وخبره ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُخَرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»[2] وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٩١٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج: باب هدم الكعبة:رقم:١٥٩٦, ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة:رقم: (٢٩٠٩).

عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويَسلبها حليتها، ويجرِّدها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أُصيلع أُفيدع يَضرب عليها بمسحاته ومعوله»[1]، فهذا التخريب المذكور في هذا الحديث لا بد وأن تتم فيه هذه الصفات، فإن لم تتم فلا يحل لنا أن نجزم في هدم معين أنه هو الشرط المذكور في آخر الزمان، ومن دلائل حرص السلف على هذا ما جاء في رواية عبد الرزاق لهذا الحديث وهو من طريق مجاهد عن عبد الله بن عمرو ﷺ وفيه: (...كأني أنظر إليه أصيلع أفيدع، قائماً عليها بمسحاته) **قال مجاهد: فنظرت حين هدمها ابن الزبير وهي تُهدم هل أرى صفته؟ فلم أرها**[2].

***

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم: (٦٧٥٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: باب خراب البيت: رقم: ٩١٧٩, (١٣٧/٥), وابن أبي شيبة برقم: ١٢٠: (٦١٠/٨), والفاكهي في أخبار مكة: ذكر صفة الحبشي الذي يهدم الكعبة: ٢٩٤/٢, والأزرقي في أخبار مكة: باب ما جاء في الحبشي الذي يهدم الكعبة: (٢١٨/١).

الفصل الرابع: ضوابط تنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع.

مما تقدم نستطيع أن نَخلُص إلى بعض الضوابط المهمَّة التي يجب أن تُحاط بفهم نصوص الفتن وأشراط الساعة وتأويلها على الواقع، وذلك وفق الآتي:

الضـــابط الأول: أن يكون القائم على تنزيل النص على الواقع ممن يملك الأهلية الشرعية التي تسوّغ له تنزيل الأدلة الشرعية على واقعها كما يجب، وقد تقدم في الشـــروط ملامح الأهلية الواجب توافرها فيمن يتأوَّل نصــوص الفتن وأشراط الساعة.

الضابط الثاني: التحاكم إلى النصوص الشرعية في التأويل دون ما سواها، فلا تفســر الوقائع على الأحاديث الضـعيفة أو الموضـوعة، ولا على الأخبار الإسرائيليَّة، أو الحسابات العقليَّة، أو الحدس أوالكشف أوالإلهامات النفسيَّة، لأن خبر الغيب يوجب مصدرَ تلقٍ ثابت، وليس غير الكتاب والسنة[1].

الضابط الثالث: التحقق من الواقع، فلا بد وقبل تناول النصوص الدالة على الفتن وأشراط الساعة من التثبت من صدق الواقعة مع النص، والتحقق من فهمها بمنهج علمي، فكم من واقعٍ يبدو دالاً على ما في النص، ثم لا يتحقق في الواقعة أنها المقصودة شرعاً[2]، ولذا كان من أغلظ الخطأ مبادرة

---

(١) وهو منهج للسلف من الصحابة والتابعين في تأويل أحاديث الفتن وأشراط الساعة بالأحاديث الأخرى ومن شـــواهده ماتقدم ذكره مما أخرج الطبراني في المعجم الكبير (رقم: ١٠٥٠٤ ج ٢١٣/١٠) من حديث عمير بن سعيد قال: (كنا جلوساً مع ابن مسعود رضي الله عنه وأبو موسى عنده، وأخذ الوالي رجلاً فضـــربه وحمله على جمل، فجعل الناس يقولون: الجمل الجمل، فقال رجل: يا أبا عبدالرحمن هذا الجمل الذي كنا نسمع قال: فأين البارقة.

(٢) من شـــواهد هذا الضـــابط: دعوات مدعي المهدية, فإن شـــأن المهدي في آخر الزمان له سمات =

المتعجلين لأشراط الساعة بالشهادة بوقوعها في زمنهم ونشر ذلك بين الملأ، وتسويد الصحف بذلك، يقول ابن كثير: (ت:٧٧٤) رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ النساء: ٨٣: (إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيُخبر بها، ويُفشيها، وينشرها، وقد لا يكون لها صحة)[١]، ويقول السعدي (ت:١٣٧٦) رحمه الله: (وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي: أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرُّع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة ؟، فيُقْدِم عليه الإنسان، أم لا ؟، فيُحجم

منها: أنه يظهر في زمن فيه ظلم وجور ويصلحه الله في ليله, واسمه محمد بن عبد الله, ونسبه يرجع لآل بيت النبي ﷺ, من ولد الحسن بن علي رضي الله عنه, وله صفات منصوص عليها في السنة النبوية, فمن رآه مثلاً عمر بن عبد العزيز لم يحقق فيه القول, لأن النصوص الشرعية دلت على غير هذا, وإن كان عمر بن عبد العزيز خليفة راشداً, إلا أن المبشر به في السنة غيرُه, لاختلاف الصفات, وهكذا من كان دونه وادَّعى المهدية لزم في شأنه التحقق من كامل الصفات, ولذا قال ابن باز رحمه الله: (لا يجوز لأي مسلم أن يجزم بأن فلاناً ابن فلان هو المهدي المنتظر؛ لأن ذلك قول على الله وعلى رسوله بغير علم, ودعوى لأمر قد استأثر الله به, حتى تتوافر العلامات والأمارات التي أوضحها النبي ﷺ وبين أنها وصف المهدي, وأهمها وأوضحها: أن تستقيم ولايته على الشريعة, وأن يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً مع توافر العلامات الأخرى, وهي: كونه من بيت النبي , وكونه أجلى الجبهة أقنى الأنف, وكون اسمه واسم أبيه يوافق اسم النبي ﷺ واسم أبيه, وبعد توافر هذه الأمور كلها يمكن المسلم أن يقول أن من هذه صفته هو المهدي) ا.هـ من في مجموع فتاويه: (٤/٩٠-٩١).

(١) تفسير ابن كثير: (٢/٣٦٥).

عنه)[1].

الضـابط الرابع: تنزيل نصـوص الفتن وأشـراط السـاعة على الواقع يكون بعد اكتمال الواقعة وتمامها، إذ كيف يُشـهد بتأويل النص على الواقع، والواقع لم تكتمل فُصـــوله، ولذا كان أهل العلم المعظمين شـــعائر الله، هم أبعد من يكون عن المبادرة لمطابقة الواقع للنصوص الشرعية أو القطع بتأويلها في الواقع على سبيل الجزم واليقين[2].

الضـابط الخامس: اسـتكمال النص الشـرعي الوارد في أشـراط السـاعة، وذلك بجمع النصـوص الواردة في الشـرط الواحد من أشـراط السـاعة، وحمل

---

(١) تفسير السعدي: (١٩٠).

(٢) من شواهده فعل حذيفة ﵁ يوم الجرعة مع جندب ﵁ ففي صحيح مسلم قال جندب: جئت يوم الجرعة فإذا رجل جالس فقلت: ليهراقن اليوم هاهنا دماء, فقال ذاك الرجل: كلا والله, قلت: بلى والله, قال: كلا والله, قلت: بلى والله, قال: كلا والله إنه لحديث رســول الله ﷺ حدثنيه, قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم, تسـمعني أخالفك وقد سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني! ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه وأسأله فإذا الرجل حذيفة. (صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشـراط السـاعة: رقم ٢٨٩٣). قال النووي في شـرحه على مسـلم: (١٨ / ١٨): (الجرعة بفتح الجيم وبفتح الراء وإسكانها, والفتح أشـهر وأجود, وهي موضع بقرب الكوفة على طريق الحيرة, ويوم الجرعة يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون واليا ولاه عليهم عثمان فردوه وســألوا عثمان أن يولى عليهم أبا موسى الأشعرى فولاه) ا.هـ. ومن شواهد هذا الضابط كذلك ما جاء في صـحيح مسـلم من حديث يسـير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة, قال: فقعد وكان متكئاً, فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسـم ميراث ولا يفرح بغنيمة, ثم قال بيده هكذا ونحّاها نحو الشـأم فقال: عدو يجمعون لأهل الإســلام, ويجمع لهم أهل الإســلام, قلت: الروم تعني؟ قال: نعم...) تقدم تخريجه:٢٤, فالرجل جعل هذا الدخان الأحمر دالاً على الساعة وتعجل في إسقاط قيام الساعة قبل اكتمال الواقعة وهي الريح الحمراء, وقبل اكتمال الأشــراط الأخرى والتي أشــار إليها ابن مسعود ﵁ مما يدل على وجوب التريث والتأني في التأويل.

بعضها على بعض، وتمحيص ما يصح منها، ثم تأويلها كنص واحد، قال ابن حجر(ت:٨٥٢) رحمه الله في قواعد فهم السنة النبوية: (المتعين على من يتكلم على الأحاديث أن يجمع طرقها ثم يجمع ألفاظ المتون إذا صحَّت الطرق ويشرحها على أنه حديث واحد، فإن الحديث أولى ما فُسِّر بالحديث)[1].

الضابط السادس: ترك الخوض في المتشابه من نصوص الفتن وأشراط الساعة، فما لم يُبيِّن الشارع معناه أو موعده أو صفته، أو أشكل ميقاته في تقديمٍ أو تأخيرٍ مع أمارة أخرى، فإنا لا نتجاوز النصوص الشرعية، بل نؤمن بخبر الله على مراد الله، ونترك الخوض في المتشابهات بتفويض علمها لله، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ آل عمران: ٧ ، قال أبو إسحاق الزجاج: (ت: ٣١١): (المتشابه: أمرُ السَّاعة ووقت وقوعها)[2].

الضابط السابع: أن لا يؤثِّر تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على شيء من أحكام الدين، فما ورد من الأشراط دالاًّ على غلبة جهل في آخر الزمان أو رفع علم أو كثرة ظلم أو ما يقابله من نصرٍ وتمكينٍ وامتلاء الأرض عدلاً وقسطاً كل ذلك لا يُعطِّل من أحكام الدين شيئاً.

الضابط الثامن: الإدراك بأن نصوص أشراط الساعة لا يَقِف وُقوعها على تأويلها، فلو لم يحصل لها تأويل فإنها واقعةٌ بلا ريب، وتكليفنا تجاهها:

---

(١) فتح الباري: (٤٧٥/٦).

(٢) البرهان في أصول الفقه: (٢٣٥/١).

الإيمانُ بها ما دامت في علم الغيب، فإذا وقعت على المؤمنين زادتهم إيماناً[1].

الدراسة النقدية:

تمهـــيد:

لعل ما ســـبق من التأصـــيل يعد قاعدة عامة لتفســـير الغيبيات بعامة وتطبيقها على الواقع المعاصر، وإن كان مخصوصًا بتأويل أشراط الساعة كأحد الغيبيات التي أكَّد الشـــارع على الإيمان بها، بل هي جزء من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان.

ولاختصار هذا البحث فإني أذكر ثلاث قضايا من أشراط الساعة مرَّ بها تأويل قَصَـد تطبيقها على واقعٍ معاصـر، ثم أعقبتُه بنقد مختصر وفق الضـوابط المتقدمة، وإن كان موضــوع الغيبيات بعامة وتأويله على الواقع يحتاج إلى تتبع عام في شـتَّى تطبيقاته؛ ليُضـمَّ في دراســاته لمشـاريع الدفاع عن القرآن الكريم وتفسيره، وهو الدور المرجو من الأقسام العلمية المتخصصة.

---

(١) مما يدل على أن وقوعها يزيد المؤمنين إيماناً وبصيرةً: خبر الرجل المؤمن مع المسيح الدجال, ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ يوما حديثاً طويلاً عن الدجال, فكان فيما يحدثنا به أنه قال: «يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة, فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة, فيخرج إليه يومئذ رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس, فيقول أشـهد أنك الدجال الذي حدثنا رسـول الله ﷺ حديثه, فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشـكون في الأمر؟ فيقولون: لا, فيقتله ثم يحييه فيقول- أي الرجل المؤمن-: والله ما كنت فيك أشـد بصيرة مني اليوم, فيريد الدجال أن يقتله فلا يسـلط عليه». (البخاري: ٧١٣٢) و (مسلم: ٢٩٣٨).

الفصل الأول: تأويل الآيات الواردة في فتنة يأجوج ومأجوج.

المبحث الأول: التعريف بيأجوج ومأجوج وذكرهم في القرآن الكريم:

يأجوج ومأجوج - في النُطق - غير مهموزين عند جمهور القرَّاء وأهل اللغة، وقرأ عاصم (ت:١٢٨) بالهمز فيهما[١] وأصله من أجيج النار وهو صوتها وشررها شُبهوا به لكثرتهم وشدتهم واضطراب بعضهم في بعض[٢].

وهما أُمتَّان عظيمتان من الترك، قيل: يأْجوج اسم للذكران، ومأجوج: اسم للإناث[٣].

وفي لسان العرب لابن منظور(ت: ٧١١ هـ): (يأْجوجُ ومأْجوجُ وهما اسمان أَعجميان واشتقاقُ مثلهما من كلام العرب يخرج من أَجَّتِ النارُ ومن الماء الأُجاج وهو الشديد الملوحة المحْرِقُ من ملوحته، قال: ويكون التقدير في يأْجُوجَ: يَفْعول، وفي مأْجوج: مفعول، كأَنه من أَجِيج النار، قال: ويجوز أَن يكون يأْجوج فاعولاً وكذلك مأْجوج، قال: وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقَهما، فأَمَّا الأَعْجَمِيَّةُ فلا تُشْتَقُّ من العربية، ومن لم يهمز وجعل الأَلفين زائدتين يقول: ياجوج، من يَجَجْتُ، وماجوج من مَجَجْتُ، وهما غير مصروفين)[٤].

وهم بشرٌ كغيرهم، ليسوا عالماً غيبياً كالجن والملائكة، من ذرية آدم ثم من

---

(١) انظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني: (١١٨, ١١٩).

(٢) انظر: شرح النووي لمسلم: ٩٨/٣, الصحاح للجوهري: (٣٢١/٢).

(٣) انظر: المصباح المنير: (٩/١).

(٤) لسان العرب: (٢٠٥/٢).

ذرية نوح من سلالة يافث أبي الترك[١] وقد كانوا يعيشون في الأرض ويؤذون، فحصَرهم ذو القرنين في مكانهم داخل السد، حتى يأذن الله بخروجهم على الناس فيخرجوا. ومن قال إنهم من ذرية آدم لا من حواء، على زعم أن آدم احتلم فاختلط منيُّه بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج، فقد أخطأ، لأن ذلك لم يرد في خبر يصحّ كما يقوله ابن كثير (ت:٧٧٤)[٢].

وقد ذكر الله هذه الأمة في القرآن في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۞ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۞ ﴾ الكهف: ٩٤ - ٩٩

الثاني: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۞ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۞ ﴾ الأنبياء: ٩٦ - ٩٧

وفي كلا الموضعين بيانٌ لكون ظهورهما من أشراط الساعة، ففي آية الكهف ذكر اندكاك السد ومَوجهم في الأرض ثم نفخ الصور، وفي آية الأنبياء بعد انبعاثهم اقتراب الوعد الحق، وهو يوم القيامة، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم: (١٠٢/١).

(٢) المرجع السابق.

(ت:٧٧٤): (وَقَوْلُـهُ: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ ...يَوْمَئِـذٍ أَيْ: يَوْمَ يُدَكُّ هَذَا السَّدُّ وَيَخْرُجُ هَؤُلَاءِ فَيَمُوجُونَ فِي النَّاسِ وَيُفْسِدُونَ عَلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَيُتْلِفُونَ أَشْـيَاءَهُمْ، وَهَكَذَا قَالَ السُّـدِّيُّ فِي قَوْلِه:﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قَـالَ: ذَاكَ حِينَ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّـاسِ، وَهَـذَا كُلُّـهُ قَبْـلَ يَوْمِ الْقِيَـامَـةِ وَبَعْـدَ الدَّجَّالِ)[1].

***

(١) تفسير ابن كثير: (٥/١٩٩).

المبحث الثاني: تأويل الآيات الواردة في فتنة يأجوج ومأجوج بما يقتضيه الواقع

في يأجوج ومأجوج تأويلان لإسقاط ظهورهما على الواقع:

الأول: إنكار وجود سـد يأجوج ومأجوج، بحجة أن التقنية الحديثة كشفت الأرض وصورتها دون الوصول للسد، فذهب بعض المعاصرين إلى إنكار وجوده، مستدلاً بالتطور المعرفي والتقني المعاصر، والذي لم يسبق له من قبل نظير، وعليه استطاع مَن تمكَّن من هذه التقنية معرفةَ خرائط الدول على وجهها الصحيح، ومعرفة الجُزر، والجبال، والبحار، والخِلجان، والأنهار، بحدودها وأطوالها وعُمقها، واستطاع أهل الأرض بفضل الله أن يصوِّروا الأرض من علو، ليتضح أمر كرويتها، ويتبيَّن حدودُ أجزائها، وبذلك قطع بإنكار وجودهم تبعاً لهذه الاكتشافات العلمية، التي مرَّت على سطح الأرض دون أن ترى السدَّ أو الحاجز الذي يحجزهم وهم دونه(١).

(١) قولٌ ذهب إليه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في رسالته: يأجوج ومأجوج: (٨٠, ٩٠, ٩١), وأيده الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود, انظر مجموع رسائله: ٤/٤٤٥, قال الشيخ حمود التويجري رحمه الله: (ما قرَّره الشيخ ابن سعدي في رسالته من أن يأجوج ومأجوج ما هم إلا أمم الكفار على اختلاف أجناسهم وأوطانهم فهو مخالف لما قرره في تفسيره لسورة الأنبياء، فقد قرر فيها أن يأجوج ومأجوج إنما يخرجون في آخر الزمان) ثم ساق من تفسيره ما يوافق مذهب السلف,إلى أن قال رحمه الله: (فإذا كلامه فيه على خلاف ما قرره في رسالته التي أنكرها كبار العلماء، ولم يخرج في تفسير الآيات من سورة الكهف ومن سورة الأنبياء عما ذكره المفسرون في أمر يأجوج ومأجوج، فيحتمل أنه قد رجع عما قرره في رسالته، وإن لم يكن رجع عن ذلك فكلامه في يأجوج ومأجوج متناقض، فيؤخذ بما كان منه موافقًا لأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ويرد ما خالفهم فيه). ينظر: الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر للشيخ حمود التويجري: (٣٢٨).

ويمكن نقد هذه التأويل بخمسة أوجه:

أولاً: أن كلام الله حقٌّ لا يبطله ظن الاكتشاف البشري، أو زعم تصوير الأرض كلها، وقد أخبر الله عن حجز ذي القرنين لهم بالسد، وعدم استطاعتهم تطاول الحاجز أو نقبه. الكهف: ٩٦ - ٩٨

قال ابن كثير(ت:٧٧٤): ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي ﴾الكهف: ٩٨ أي: إذا اقترب الوعد الحق ﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾أي: ساواه بالأرض، تقول العرب: ناقة دكاء: إذا كان ظهرها مستويًا لا سنام لها، ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٣ أي: مساويًا للأرض، وَقَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ، قَالَ: طَرِيقًا كَمَا كَانَ .وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا أَيْ: كَائِنًا لَا مَحَالَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ ﴾ أي: النَّاسَ يَوْمَئِذَ أَيْ: يَوْمَ يُدَكُّ هَذَا السَّدُّ وَيَخْرُجُ هَؤُلَاءِ فَيَمُوجُونَ فِي النَّاسِ وَيُفْسِدُونَ عَلَى النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَيُتْلِفُونَ أَشْيَاءَهُمْ، وَهَكَذَا قَالَ السُّدِّيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ ﴾ قَالَ: ذَاكَ حِينَ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ. وَهَذَا كُلُّهُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَبَعْدَ الدَّجَّالِ،)[1]، وقال رحمه الله: ﴿ وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ ﴾ .الكهف: ٩٩ (يَعْنِي

---

(١) تفسير ابن كثير: (٥/١٩٩).

يَوْمَ فَتْحِ السَّدِّ، عَلَى الصَّحِيحِ)[١].

ثانياً: أن الله قادرٌ على صرف أهل الأرض عن مكانهم حتى يأتي حين انبعاثهم، ولا بأس هنا أن يقال: مكانهم شأنه كشأن مكان المسيح الدجال الذي وَصَل إليه تميم الدراي رضي الله عنه بعد أن تاهت بهم السفينة في البحر شهراً، فلا يُعلم على وجه التحديد أين هو؟ وذلك للعليم الخبير سبحانه[٢].

ثالثاً: لا يزال أهل الأرض يستحدثون في اكتشافاتهم ما هو جديد عليهم وعلى أهل الأرض، كبقايا أقوام أو بناياتهم أو كتاباتهم وآثارهم، وقبلها لم يتوصلوا إليها ولا إلى دليل وجودها، فما المانع عقلاً أن يُلحق سد ذي القرنين وَمَن وراءه من الأمم بعدم الوصول إلى سبيله، كيف وعندنا في المصادر الشرعية ما يدلُّ على حقيقة أمرهم، مع عدم وجود ما يحددُّ مكانهم ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾ (آل عمران:٧).

رابعاً: من الأدب مع الله عدم الجزم بعلم الأرض ومحتواها واكتشاف كل ما غاب عن القرون السابقة فيها، فكم من اكتشاف ظهر بالأمس، وكُذّب اليوم، فلا تحكَّم النصوص الشرعية الطاهرة بالبراهين العقلية الخالصة دون

---

(١) البداية والنهاية: (٢/١٠٨).

(٢) حديث تميم الداري رضي الله عنه أخرجه مسلم في صحيحه برقم: (٢٩٤٢).

استنباط مُعتبر بالشروط المذكورة آنفاً في قسم الدراسة التأصيليَّة.

خامساً: يلزم من القول بأن الاكتشافات الحديثة تبرهن عدم وجود السد، إنكارُ خبر الله ورسوله ﷺ القاضي بخروجهم آخر الزمان، كما دلت عليه الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة، أما من زعم أن السدَّ قد اندكَّ وأنهم ظهروا فهو لا ينكر الآية بل يتعجّلها، ويجعل إفسادهم بظهورٍ آخرٍ وأخيرٍ لهم قُبيل يوم القيامة، وهو مع ذلك محلُّ نظر[1].

التأويل الثاني: تأويل ظهور يأجوج ومأجوج بغزو التتار للمسلمين:

في هذا التأويل إجمال، ويمكن تقسيمه إلى قسمين:

الأول: من يرى أن ظهور فتنة التتار التي ابتدأت غالبة من سنة ٦١٧ هـ، هم مَن أخبر النبي ﷺ أنهم يأجوج ومأجوج.

الثاني: من يرى أن التتار من جنس يأجوج ومأجوج، وهم مقدمة لهم ولطغيانهم، وأن آخر الفساد الذي بدأ من الترك سيكون علي يد يأجوج ومأجوج آخر الزمان.

والتأويل الأول خطأه ظاهر، إذ كيف يُفسَّر التتر بأنهم يأجوج ومأجوج وهم إنما يُفسدون في الأرض بعد خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وأين شربهم لمياه بحيرة طبرية، وهلاكهم الذي يشبه الموتة الواحدة، وهذا كله لم يحصل منه شئ .

أما التأويل الثاني: فحاصله أن ما رآه العلماء من قتال الترك في الأزمان

(١) هو ما ذهب إليه السعدي رحمه الله في رسالته: يأجوج ومأجوج: ٧٦-٧٨.

المختلفة بالصفات المتطابقة مع خبر النبي ﷺ في قوله: « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حُمر الوجوه ذُلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر»[1]، رأوا أن هذه الصفة متّحدة مع صفة يأجوج ومأجوج كما في خبر النبي ﷺ: «إنكم تقولون: لا عدو، وإنكم لا تزالون تقاتلون عدواً حتى يأتي يأجوج ومأجوج، عِراضُ الوجوه، صِغار العيون، شُهب الشعاف، من كل حدب ينسلون، كأن وجوههم المجان المطرقة»[2]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو ممن أدرك قتالهم: (حتى أنه -أي النبي ﷺ- ينبىء عن الشيء الذي يكون بعد ما يبين من السنين خبراً أكمل من خبر من عاين ذلك، كقوله في الحديث الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، ذلف الأنوف، حمر الخدود، ينتعلون الشعر، كأن وجوههم المجان المطرقة» فمن رأى هؤلاء الترك الذين قاتلهم المسلمون من حين خرج جنكزخان ملكهم الأكبر وأولاده وأولاد أولاده مثل هولاكو وغيره من ملوك الترك الكفار الذي قاتلهم المسلمون، لم يحسن أن يصفهم بأحسن من هذه الصفة)[3].

ومن المقرر عند علماء الإسلام أن قتال المسلمين للترك ممتد منذ زمن الصحابة ﷺ إلى القرن الرابع عشر الهجري؛ ولأجله قال النووي رحمه الله:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب قتال الترك: رقم: (٢٩٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٢١٧/٥).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (١١٥/٤).

(وقاتلهم المسلمون مرات)[1]، فيكون على هذا التأويل آخر الصراع بين هذا الجنس وبين المسلمين مع يأجوج ومأجوج.

والترك الموصوفون بهذا الوصف المتّحِد مع يأجوج ومأجوج إنما سموا بهذا الاسم، لإنهم تُركوا خارج سد ذي القرنين، فحيل بينهم وبين قومهم، قال قتادة: (الترك: سريَّة من سرايا يأجوج ومأجوج خرجت تَغير فجاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجاً)[2].

فمن تأول التتر -وهم أهل تلك البلاد والموصوفون بوصف يأجوج ومأجوج- على أحاديث يأجوج ومأجوج إنما يريد امتداد القتال بين الترك والمسلمين، حتى يكون آخر لقاء بين المسلمين ويأجوج ومأجوج، وبعده هلكتهم، قال الحافظ ابن كثير (ت:٧٧٤) رحمه الله بعد قول النبي ﷺ: «إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً ينتعلون نعال الشعر، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة»[3] (والمقصود: أن الترك قاتلهم الصحابة فهزموهم وغنموهم وسبوا نساءهم وأبناءهم، وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يكون هذا من أشراط الساعة، فإن كانت أشراط الساعة لا تكون إلا بين يديها قريباً فقد يكون هذا أيضاً واقعاً مرة أخرى عظيمة بين المسلمين وبين الترك، **حتى يكون آخر ذلك خروج يأجوج ومأجوج** كما سيأتي ذكر أمرهم ، وإن كانت أشراط الساعة أعمُّ من أن تكون بين يديها

---

(١) شرح مسلم: (٣٨/١٨).

(٢) فتح الباري: (١٠٧/١٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير: باب قتال الترك: رقم: (٢٩٢٧).

قريباً منها فإنها تكون مما يقع في الجملة ولو تقدم قبلها بدهر طويل، إلا أنه مما وقع بعد زمن النبي ﷺ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب)[1].

والحاصل أن التتر الذين غزو المسلمين في أثناء المائة السابعة واشتد خطب المسلمين بهم وأوقعوا في ديار المسلمين النكبات وأسقطوا خلافة المسلمين، ليسوا هم يأجوج ومأجوج الذين أخبر عن ظهورهم الكتاب والسنة، لأن يأجوج ومأجوج يكون خروجهم بعد مقتل الدجال في أثناء حُكم عيسى ابن مريم عليه السلام، غير أن التتر بصفاتهم وأشكالهم وعتادهم من جِنس يأجوج ومأجوج وهم من سلالة واحدة، وفسادهم متقارب، وآخر الفساد يكون على يد يأجوج ومأجوج كما ذكر ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)، والله أعلم.

***

(١) النهاية في الفتن والملاحم: (١/٧).

الفصل الثاني: تأويل الآية الواردة في الدابة .

المبحث الأول: التعريف بدابة الأرض:

الدابة: آية من آيات الله العظيمة يُظهرها الله لعباده أمارةً على دنو الساعة، وقد ذُكرت هذه الآية العظيمة في الكتاب والسنة، فأما ذكرها في كتاب الله ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ النمل: ٨٢.

ومن السنة ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة»[1].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[3].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٩٤٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: (٢٩٤١).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان: رقم: (١٥٨).

- **هل الدابة معيَّنة ؟:**

يكثر كلام العلماء في تحديد هذه الدابة، فقيل: إنها فصـيل ناقة صـالح عليه السلام[1]، وقيل: هي الجسَّـاسـة الواردة في خبر الدجال[2]، وقيل: هو الثعبان المشرف على جدار الكعبة حين اقتلعه العقاب وذلك عندما أرادت قريش بناء البيت[3]، وقيل غير ذلك، وليس لهذه الأقوال ما يُعتمد عليه فيما وقفت عليه، فالله أعلم بها.

- **وقت ظهورها:**

هي من علامات الساعة الكبرى، تقع في آخر الأشراط، جاء في صحيح مسـلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحىً، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً»[4].

قال ابن حجر: (والذي يترجح...أن طلوع الشـمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام السـاعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب، ... قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه، قلت: والحكمة في ذلك أن

---

(١) فتح القدير للشوكاني: ٤/٢١٦.

(٢) روي هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه كما حكاه النووي في شرح مسلم: ١٨/٢٨.

(٣) أورده الشوكاني في تفسيره:٤/٢١٦.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: ٢٩٤١.

عند طلوع الشـــمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة)[١].

وعن ابن عمر ﵄ في وقت خروجه قوله: (ذاك إذا تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٢].

- **مكان ظهورها:**

اختُلف في محل ظهورها، فقيل من صــدع الصــفا، وقيل من جبل أبي قبيس، وقيل من مدينة لوط ﵇، وقيل: من تهامة، وقيل: بين الركن والمقام، وقيل لها ثلاث خرجات، في البوادي ثم في بعض القرى ثم في المســـجد الحرام، قال ابن كثير(ت:٧٧٤): بعد ذكر هذه الأقوال: (فهذه أقوال متعارضة والله تعالى أعلم)[٣].

- **معنى قوله تعالى (تُكَلِّمُهُمْ) الوارد في الآية:**

اختلف المفسرون في المراد بها على قولين:

الأول: أن المراد به الكلام، فهي تخاطبهم مخاطبة بينة، واختلفوا في هذا الخطاب، قال الشــوكاني(ت:١٢٥٠): (فقيل: تُكلمهم ببطلان الأديان ســوى دين الإســلام، وقيل تكلمهم بما يســوؤهم، وقيل تكلمهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ النمل:٨٢. أي بخروجهــا، لأن خروجهــا من الآيات، قرأ الجمهور:

(١) فتح الباري: ٣٥٣/١١.

(٢) رواه الطبري في تفسيره: ٤٧٩/١٩.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم: ١٠٨/١.

(تُكَلِّمُهُمْ) من التكليم، ويدل عليه قراءة أُبي: (تنبئهم))[1].

الثاني: المراد به: الكَلْم، وهو الجرح، وبه قرأ ابن عباس ﵄ (تُكَلِّمُهُمْ) بسكون الكاف، قال عكرمة: (أي تسمهم وسماً، وقيل تجرحهم)[2].

وجاء عن ابن عباس ﵁ كلا القولين، فقال ﵁: (كلّاً تفعل يعني هذا وهذا)، قال ابن كثير (ت:٧٧٤): (وهو قولٌ حسن، ولا منافاة، والله أعلم)[3].

***

(١) فتح القدير: ٢١٦/٤, وانظر: تفسير البغوي: ١٧٧/٦.

(٢) المرجع السابق.

(٣) تفسير ابن كثير:٢١١/٦.

المبحث الثاني: تأويل الدابة وفق ما يقتضيه الواقع:

أولاً: تأويل الدابة بالأمراض والجراثيم المنتشرة:

بعد الاكتشـــافات الحديثة تأوَّل بعض المعاصـــرين[1] الآيات والأحاديث الدالة على ظهور الدابة بأنها الجراثيم والأوبئة المنتشرة في الجو، وزعم المتأول أن هذا التأويل هو المتفق مع الواقع والمنطق وهو أولى من الخيال!.

يقول محمد المكي الناصـــري (ت١٤١٤ هـــــ(: (وقد تكون هذه الدابَّة في منتهى الصـــغر ودقة الحجم، من جنس الحشـــرات الضـــارة والجراثيم الفتاكة الدقيقة، التي لم يعرفها الإنســـــان أبدًا، فتهجم عليه في مختلف أطراف الأرض وتتسلط عليه تسلطًا عامًا، وتؤذيه أذى كبيرًا، دون أن يستطيع الخلاص منها، ولا مقاومتها)[2].

ويمكن مناقشة هذا القول بستة أوجه:

الأول: أن خبر الله ورســـوله ﷺ لا يعرض في القبول والرد على العقل البشري الضعيف، لاسيما وأشراط الساعة العظمى يصاحبها من الخوارق ما لم يعتده البشـــر من قبل، والتأويل كهذا ســـيُفضـــي إلى إلحاق بعض المعجزات والحوادث كشقِّ صدر النبي ﷺ وغسله بزمزم وملأه إيماناً، والإسراء به والمعراج، ونحوه من المعجزات والخوارق من قبيل الخيلات المنكرة أيضـــاً! وهو ردٌّ لخبر الله ورسوله ﷺ

---

(١)ينظر رأي أبي عبية في تعليقه على النهاية: (١٩٠), عن إتحاف الجماعة: (١٨٢/٣), وانظر: التيسير في أحاديث التفسير: (٤٧٢/٤) , أشراط الساعة للوابل: (٤١٠).

(٢) التيسير في أحاديث التفسير: (٤٧٢/٤) .

يقول ابن القيم رحمه الله (٧٥١هـ) في الرد على المعطلة: **(فعلم أن من قدم ما يظنه من العقل على نصوص الوحي، لم يبق معه من الإيمان بالرسل عين ولا أثر ولا حس ولا خبر)**[١] .

الثاني: لو سلمنا أن المراد بالدابة: الجراثيم، لم يكن لهذه الدابة آية خارقة تدل على قُرب الساعة، لأن الجراثيم موجودة مُذ وجدت الدنيا.

الثالث: أن التكليم كما تقدم آنفاً يحمل على المخاطبة، ويحمل على التجريح وبكلٍ قال ابن عباس رضي الله عنه وهو ما رجَّحه ابن كثير، وكيف يمكن لهذه الجراثيم المخاطَبة؟.

الرابع: أن المصير إلى تأويل الدابة بالجراثيم لسرعة انتشارها، غفلةٌ عن قدرة الله في تمكين هذه الدابة من السعي في الأرض وتكليم أهلها.

الخامس: أن هذه الجراثيم لا ترى بالعين المجردة، وأما الدابة فهي كما ذكر الله تخرج للناس، فالمقام يقتضي رؤيتها، وهو أبلغ في كونها آية.

السادس: أن هذا القول شاذٌّ عن أقوال المفسرين[٢]، والسلفُ على القول بما تقدم تقريره، والشاذ يجب اطراحه.

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة: (٨٨٩/٣) .

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٤٩٥/١٩) وما بعدها , تفسير ابن أبي حاتم: (٢٩٢٤/٩), تفسير البغوي: (١٧٩/٦) , تفسير القرطبي: (٢٢٧/١٣), تفسير ابن كثير: (٢١١/٦).

التأويل الثاني: حمل التكليم في الآية على تأويل الدابة بالإنسان:

وهو قولٌ ذكره القرطبي[1] (٦٧١ هـ)، وعِلَّة حمله على الإنسان هو ذِكرُ التكليم فيه!، والكلام المفهوم من شأن الإنسان!،فحُمل في الآية على مجادلة الناس ومناظرتهم!.

وليس لهذا التأويل ما ينصره من أدلة الكتاب والسنة، ولأجله أشار القرطبي لسقوطه بقوله: (فساد ما قاله هذا المتأخر واضح، وأقوال المفسرين بخلافه)[2]، ونَقَل في تفسيره استبعاد التأويل به بقوله: (...وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آيةٌ خاصةٌ خارقةٌ للعادة، ولا يكون من العشر الآيات المذكورة في الحديث، لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصة بها فلا ينبغي أن تُذكر مع العشر، وترتفع خصوصية وجودها إذا وقع القول، ثم فيه العدول عن تسمية هذا الإنسان المناظر الفاضل العالم الذي على أهل الأرض أن يسموه باسم الإنسان أو بالعالم أو بالإمام إلى أن يسمى بدابة، وهذا خروج عن عادة الفصحاء، وعن تعظيم العلماء، وليس ذلك دأب العقلاء، فالأولى ما قاله أهل التفسير، والله أعلم بحقائق الأمور)[3].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: (١٣/٢٣٧), التذكرة في أحوال الموتى والآخرة: (١٣٣٤).

(٢) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة: ١٣٣٥.

(٣) تفسير القرطبي: (١٣/٢٣٦) .

التأويل الثالث: تأويل الدابة بالبث الإذاعي والفضائي:

وهو من التأويلات الغريبة المعاصـــرة[1]، التي أخذت بجانب التكليم والمخاطبة للناس، دون جمع للنصوص الشرعية، وحمل بعضها على بعض، مع استناد المتأول لبعض الروايات التي لاتصح في الباب، ومحاولة تطبيقها على تقنية البث الفضائي أو الإذاعي، كالذي جاء في وصفها بأن رَأسَهَا رَأس ثَوْر، وعينها عين خِنْزِير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أَيِّل، وعنقها عنق نعَامَة، وصدرها صدر أَسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هرة، وذنبها ذَنْب كَبْش، وقوائمها قَوَائِم بعير، بَين كل مفصلين مِنْهَا اثْنَا عشر ذِرَاعاً...[2] ، فتجد المتأول يتكلف المطابقة بين المنقول في صـــفاتها وبين أجهزة وأدوات البث، مما تُمكن معه المشـاكلة ولو بوجه بعيد، ويُعرض عما لا يمكن مطابقته، مما يجعل التأويل موجباً للحكم ببطلانه، وأنه جناية على علم التفسير وشذوذ بالرأي المذموم فيه، فعلماء التفسير المعاصرين لم يحملوه على هذا التفسير مطلقاً، ولو قيل به جدلاً، لكان الكلام المنقول في الإعلام بشتى صـــوره لا يتوافق مع شـــأن الدابة وكلامها المنصـــوص عليه في الآية، ثم إن خروجها كما هو مقرر في النصـــوص مقترنٌ بالأمارات الكبرى عند قرب قيام الساعة.

---

(١) ينظر: حقيقة نهاية العالم لسلامة العمراني: (١٨٣).

(٢) ينظر: النكت والعيون للماوردي: (٢٢٦/٤) , الدر المنثور في التفسـير بالمأثور للسـيوطي: (٣٨٣/٦), وانظر في الأقوال في الدابة وعلاقته بالإسرائيليات بحث: المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل, د. عبدالفتاح سلامة, (ص: ٢٠١) .

قال أحمد شاكر رحمه الله (ت: ١٣٧٧ هـ): (والآية صريحة بالقول العربي، أنها دابة، ومعنى الدابة في لغة العرب معروفٌ واضحٌ لا يحتاج إلى تأويل)[١]، ولأجله يشير الشاطبي (ت:٧٩٠هـ) أنه لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود العرب الذين نزل القرآن بلسانهم[٢].

فتقرَّر الإيمان بالدابة على مراد الله، بلا تحريف ولا تأويل ولا تنزيل على واقع مخالف، وأنها تخرج آخر الزمان من جملة الأشراط الكبرى تُكلِّم الناس، وتُفزعهم، ولم يكونوا رأوا من جنسها ما يعمل عملها، والله على كل شيء قدير.

***

(١) تعليقه على مسند الإمام أحمد: ٨/٦٠.

(٢) انظر: الموافقات: (٢/١٣١).

الفصل الثالث: تأويل الآية الواردة في الدخان

المبحث الأول: التعريف بالدخان، وموقف الناس منه:

الدخان يأتي بيّناً واضحاً آخر الزمان، يَعمُّ الناس كلهم، وقد دلَّت الأدلة الشرعية على هذه الآية في قول الله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۞ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ ﴾ الدخان: ١٠ – ١١.

وجاء في السنة المطهرة ما يدل لهذه الأمارة أحاديث، منها ما خرَّج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة»(1).

وأما موقف المؤمن منه والكافر ففي خبر أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان، يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه»(2).

***

---

(١) سبق تخريجه: (١٤٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره: (١٨/٢٢) , وقال ابن كثير: (وهذا إسناد جيد) تفسير ابن كثير: (٢٤٩/٧).

المبحث الثاني: تأويل آية الدخان على واقع المفسر.

التأويل الأول: تأويل الدخان بما وقع على قريش:

اختلف السلف ﷺ في وقوع هذا الشَّرط من أشراط الساعة على قولين:

القول الأول: أن الدخان الوارد في الآية ونصوص السنة هو ما أصاب قريشاً من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ، فأصبحوا يرون في السماء كهيئة الدخان، وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ومجاهد والضحاك وأبو العالية[1]. ففي الصحيحين واللفظ للبخاري، عن مسروق قال: - بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ، فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَفَزِعْنَا .فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَغَضِبَ فَجَلَسَ فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ: لاَ أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: لِنَبِيِّهِ . (ﷺ: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَؤُوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمِ النَّبِيُّ -ﷺ- فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ»، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ، وَالْعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ .فَقَرَأَ ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ عَآئِدُونَ ﴾ الدخان: ١٥. أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الآخِرَةِ، إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ. فَذَلِكَ ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ

---

(١) تفسير الطبري: (٢٢/١٨).

ﭐلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ الدخان: ١٦يَوْمَ بَدْرٍ وَلِزَامًا (يَوْمَ بَدْرٍ)[١].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (خمس قد مضين: الدخان واللزام[٢] والروم والبطشة والقمر)[٣].

القول الثاني: أن الدخان من الآيات المنتظرة، يأتي قبل الساعة، وهو من أشراطها العظام، وبه قال ابن عمر رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه وحذيفة رضي الله عنه وغيرهم، بل قال ابن كثير لم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم غيره باستثناء ابن مسعود رضي الله عنه[٤].

فروى ابن جرير(ت:٣١٠) عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما، ذات يوم فقال: (ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري: تفسير القرآن: باب فلا يربوا عند الله من أعطى عطية يبتغي بها غير الله: رقم: (٤٧٧٤), ومسلم: صفة الجنة والنار: رقم: (٢٧٩٨).

(٢) قال النووي في شرح مسلم: (١٧ / ١٤٣): (اللزام والمراد به قوله سبحانه وتعالى: { فَسَوْفَ يَكُون لِزَاما} أي: يكون عذابهم لازماً, قالوا: وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر وهي البطشة الكبرى).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن: باب: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين: رقم: (٤٨٢٠) , ومسلم: كتاب صفة الجنة والنار: (٢٧٩٨).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم: (١/ ١١٤).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره: (١٧/٢٢) , وقال ابن كثير: (هذا إسناد صحيح) تفسير ابن كثير: (٢٤٩/٧).

وقد رجَّح ابن كثير (ت:٧٧٤هـ)[١] رحمه الله هذا القول ، واستغرب القول الأول قال رحمه الله: (وهذا التفسير غريب جداً، ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره)[٢]، ورجَّح الطبري(ت:٣١٠هـ) في تفسيره القول الأول ، إلا إذا صحَّت أحاديث كونه في آخر الزمان[٣]، وقد صحَّت كما سيأتي. ومن مسوغات ترجيح قول جمهور الصحابة رضي الله عنهم:

١- أن الأدلة دلَّت على أن الدخان يأتي في آخر الزمان بأدلة، منها: ما خرَّجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة»[٤]، وهو قول العامة من السلف كما تقدم.

٢- أن قول الله تعالى: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴾ الدخان: ١٠، يقتضي أن يكون واضحاً بيناً للناس كلهم، بدليل قوله سبحانه: ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ الدخان: ١١ ، فهو يعمهم، وما فسَّره ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وفرقٌ بين الحقيقة والخيال[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٧/٢٤٩), ٢٥٠, النهاية: (١/١١٤) .
(٢) النهاية في الفتن والملاحم: (١/١١٤).
(٣) المرجع السابق: (٢٢/١٨).
(٤) سبق تخريجه: (١٤٠).
(٥) تفسير الرازي: (٢٧/ ٦٥٦).

٣- أن هذا الدخان لا يختص بأهل مكة المشركين، وإنما هو للناس كلهم، ولو كان أمراً خيالياً يخص أهل مكة لما قال فيه: ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾.

٤- أن أحاديث كون الدخان في آخر الزمان مرفوعة إلى النبي ﷺ وكلام ابن مسعود رضي الله عنه موقوف عليه، والمرفوع مقدم على كل موقوف، مع أنه جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في صحيح مسلم ما يفيد أن الدخان يأتي في آخر الزمان، وأنكر على من تعجله في زمان الصحابة رضي الله عنهم، وذلك في حديث يُسَيْر بن جابر قال: هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ ، قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ ، ثُمَّ قَالَ: بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ ، قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي ؟ قَالَ: نَعَمْ.[1].

يقول الرازي (ت:٦٠٦هـ) في مناقشة هذا القول: (واحتج القائلون بهذا القول بوجوه، الأول: قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يقتضي وجود دخان تأتي به السماء، وما ذكرتموه من الظلمة الحاصلة في العين بسبب شدة الجوع فذاك ليس بدخان أتت به السماء، فكان حمل لفظ الآية على هذا الوجه عدولاً عن الظاهر، لا لدليل منفصل، وإنه لا يجوز، الثاني: أنه وصف ذلك الدخان بكونه مبيناً، والحالة التي ذكرتموها ليست كذلك، لأنها عارضة

(١) سبق تخريجه: (١١٩).

تعرض لبعض الناس في أدمغتهم، ومثل هذا لا يوصـــف بكونها دخاناً مبيناً، والثالث: أنه وصــف ذلك الدخان بأنه يغشـى الناس، وهذا إنما يصــدق إذا وصــل ذلك الدخان إليهم واتصــل بهم والحال التي ذكرتموها لا توصــف بأنها تغشـى الناس إلا على سبيل المجاز وقد ذكرنا أن العدول من الحقيقة إلى المجاز لا يجوز إلا لدليل منفصل)[1].

وقد ذكر غير واحد من العلماء موازنةً بين القولين باحتمال كون الدخان مما يتكرر وقوعه، فوقع زمن قريش وسيقع آخر الزمان.

قـال النووي(ت:٦٧٦): (لن تقوم حتى ترون قبلهـا عشـــر آيات فـذكر الدخان والدجال» هذا الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان دخانٌ يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريباً من قيام السـاعة وقد سبق فى كتاب بدء الخلق قول من قال هذا وإنكار ابن مســعود عليه، وأنه قال إنما هو عبارة عما نال قريشـاً من القحط، حتى كانوا يرون بينهم وبين السـماء كهيئة الدخان، وقد وافق ابن مسـعود جماعة، وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحســن ورواه حذيفة عن النبى ﷺ وأنه يمكـث فى الأرض أربعين يومـاً، ويحتمـل أنهمـا دخـانان للجمع بين هـذه الآثار)[2].

---

(١) تفسير الرازي: (٦٥٦/٢٧, ٦٥٧).

(٢) شرح صحيح مسلم: (٢٧/١٨).

التأويل الثاني: تأويل الدخان بعوادم المصانع المعاصرة:

أشـار بعض المعاصـرين[1] إلى أن العذاب المشـار إليه في الآية يُنزَّل على واقع هذه المصانع المشاهدة في العالم وما يتصاعد منها من أدخنة، وأن التلوث الناتج عنها ما هو إلا ما أشـــارت إليه الآية الكريمة بالعذاب!، محتجين بأن الوزن الجزيئي لغاز ثاني أكسـيد الكربون هو ٤٤، وأن سـورة الدخان تحمل ذات الرقم في تعدادها!.

والواقع أن هذا التأويل من التأويلات الغريبة للآية الكريمة، مع ما فيه من الإعراض عن تفسير القرآن بالسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين كما تقدم، وقد جاء ذكره في الأشراط الكبرى، وهذه المصـانع منذ وجدت لم تكن عذاباً على الناس، بل كان فيها من المتاع ما لا ينكره سـليم العقل، وفيما تقدم من المناقشـة ما يدل على بعد هذا القول الشـاذ عن تفسـير القرآن بالسـنة النبوية، وحمله الآية على ظاهر الاسـم! ومعه يتأكد عدم مجاوزة أقوال أئمة التفسـير الـذين اسـتخلفهم الله بميراث النبوة في كـل زمن، وخطورة إحـداث الأقوال الجديدة بغير مستند يرعى الأصول العلمية.

***

(١) انظر: حقيقة نهاية العالم لسلامة العمراني: (٢٠٤).

الخـــاتمـــة

الحمد لله على توفيقه ، وبعد: فهذه الدراسة أكَّدت على تأصيل تفسير آيات أشراط الساعة بتطبيقها على الواقع، وتعاطت شروطه وضوابطه بعامه، ثم ذيلتها ببعض النماذج لبعض التأويلات المستدركة، وناقشتها باختصار وفق ما تقدم في الدراسة التأصيلية، ولم أقصد فيها الاستيعاب والتتبع السردي، بقدر إظهار ما يجب التنبيه إليه خلال التطبيق على الواقع.

وأشير في الخاتمة إلى أن الانحراف في التفسير من جهة التنزيل على الواقع قد يقع في باب أشراط الساعة كما يقع في أبواب كثيرة، كمحاولة ربط المخترعات بالآيات، أو فتح باب الإعجاز على مصراعية في الاستنباط والاعتضاد، أو تعيين بعض الأماكن والحوادث المعاصرة بدلالة قرآنية، وعليه فإن حماية جناب التفسير من التأويل المتعجِّل، أو تفسير القرآن من غير أهليِّة المفسر، هو واجب العلماء المتخصصين الذين يتحتم عليهم النهوض في النوازل، والدفاع عن كتاب الله بالتأويل الصحيح، أو رفع التأويل الجاهل، واليوم يحسن أن يكون هناك مجامع علمية تتبع الزلل المنتشر والمروج له من قبل الإعلام المفتوح، حتى يُقضى عليه في مهده، ولا يُجاوِزُ بالإجماع على رده حجمَه، والله حافظ كتابه .وأخيراً أجمل أبرز النتائج فيما يلي:

- مقصودي بالفتن في البحث ما يجري في الفتن العظام الدالة على قرب الساعة كفتنة المسيح الدجال وفتنة يأجوج ومأجوج.
- المراد بأشراط الساعة: أمارات قيام القيامة وعلاماتها.

- المراد بتنزيل آيات الفتن وأشراط الساعة على الواقع هو تطبيق مدلولها على واقع معين.
- تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة من الكتاب والسنة على الواقع جائز في الأصل بشروطه وضوابطه.
- كان للسلف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم تحري تام لتنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الواقع.
- تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على الواقع يكون بعد اكتمال الواقعة وتمامها.
- لا يؤثِّر تنزيل نصوص الفتن وأشراط الساعة على شيء من أحكام الدين بنسخ
- فتح ردم يأجوج ومأجوج وانسلالهم في الأرض من الأشراط الكبرى التي لم تقع.
- التتر من جنس يأجوج ومأجوج ولكن الوارد في الآيات والأحاديث يخص الطائفة التي يشاء الله معهم دكَّ الردم وخروجهم بالفساد.
- تأويل الدابة بالجراثيم قول شاذ ومردود، ولفظ الدابة العربي لا يجوز صرفه عن مدلوله.
- في الدخان الوارد في سورة الدخان قولان، والذي عليه جمهور الصحابة عدم وقوعه، وأنه يأتي آخر الزمان ويغشى الناس كلهم، وهو القول الراجح.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

***

فهرس المصادر والمراجع

- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، تأليف: حمود بن عبدالله بن حمود التويجري، دار الصميعي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- أشراط الساعة، يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة والعشرون: ١٤٢٦ هـ.
- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ت ٥٤٤ هـ.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الناشر: مكتبة المعارف – بيروت.
- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، دراسة وتحقيق:صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر:دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
- الأعلام، قاموس تراجم الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية عشر ١٩٩٧ هـ.
- الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر للشيخ حمود التويجري، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد بالرياض. الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
- الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ، ت: سالم محمد عوض، محمد علي معوض.
- التمهيد، لابن عبدالبر، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ت: مصطفى أحمد العلوي، محمد عبدالكبير البكري.
- التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، عني به: أو تويرتزل.
- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ، القرطبي، مكتبة المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤، تحقيق: د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر .
- حقيقة نهاية العالم ، سلامة العمراني ، توزيع مكتبة الشروق الدولية، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
- الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣ هـ).الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت.الطبعة: الرابعة ـ يناير ١٩٩٠.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ومعه: تعليقات الذهبي.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣،تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، وانظر ط: العصرية.
- مفاتيح الغيب محمد بن عمر الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى الشاطبي ،دار ابن عفان، ١٤١٧هـ، ت: مشهور آل سلمان.
- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصبهاني: دار المعرفة، بيروت ١٤٢٠ هـ.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ، ت: يحيى بن عبد الله الثمالي.

- المنتقى شرح الموطأ، لسليمان بن خلف الباجي، دار الكتاب الإسلامي.
- النهاية في الفتن والملاحم، الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي: دار الكتب العلمية – لبنان. بيروت – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م الطبعة: الأولى تحقيق: ضبطه وصححه: الأستاذ عبده الشافعي.
- النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، ت: علي حسن عبدالحميد.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٠ هـ، ت: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- تفسير ابن أبي حاتم، مكتبة مصطفى الباز، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.
- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.
- تهذيب اللغة: المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري دار النشر: دار إحياء التراث العربي بيروت – ٢٠٠١م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ .
- دلائل النبوة، للبيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: الدكتور / عبد المعطى

قلعجى، الناشر: دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر ـ بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ، ت: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي ١٩٧٢م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، لإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النووي، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ـ مؤسسة قرطبة.
- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الداودي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ، ت: سليمان بن صالح الخزي.
- فتح الباري، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (مصور عن الطبعة السلفية).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني.
- كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ، ت: د. محمد عبدالرحمن المرعشلي.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ.

- مجموع رسائل الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ، مطبعة العبيكان ، ١٤٢٧هـ.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، جمع وترتيب د. محمد بن سعد الشويعر، طبع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الرابعة ١٤٢٣ هـ.
- مسند ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، الناشر دار الوطن، سنة النشر ١٩٩٧م، الرياض.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.
- معاني القرآن وإعرابه إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، المحقق: عبد الجليل عبده شلب الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٣، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- معجم الأدباء، لياقوت بن عبدالله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ، الطبعة الأولى.
- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية.

***

Index of sources and references

- Gathering the congregation with what was mentioned in the temptations، epics and the Signs of the Hour - Hamoud bin Abdullah bin Hamoud bin Abdul Rahman Al-Tuwaijri –Dar As-Shumai'i - (2nd Ed.)، 1414 H.
- Signs of the hours - Youssef bin Abdullah Al-Wabel – Dar Ibn Al-Jawzi (23nd Ed)، 1426 H.
- Completing the Teacher with Muslim Benefits - Judge Ayad Yahya Ismail – (deceased: about 544 AH)
- Beginning and End - Ismail bin Omar bin Kathir - Publisher: Al-Maaref Library، Beirut.
- Evidence in the Fundamentals of Jurisprudence - Abd al-Malik bin Abdullah bin Yusuf al-Juwayni – Publisher House of Scientific Books Beirut – (1nd Ed)، 1418 H.
- The Flags Dictionary of Translations - Khair al-Din al-Zarkali - Dar al-Alam for millions – Beirut (12nd Ed)، 1997 M.
- Protesting the Impact of the One Who Denied the Expected Mahdi - Hamoud bin Abdullah bin Hamoud Al-Tuwaijri - General Presidency of the Departments of Academic Research، Ifta، Da`wah and Guidance Riyadh- (1nd Ed)، 1403H.
- The comprehensive recall of the doctrines of the jurists and the scholars of the countries، as included in the Muwatta from the meanings of opinion and archeology، and explained all this briefly and briefly - Ibn Abd al-Barr – House of Scientific Books Beirut – (1nd Ed) 1421H.
- Introduction to the meanings and meanings of the Muwatta - Youssef bin Abdullah bin Mohammed bin Abdul Barr Al-Nimri Al-Andalusi Abu Omar - Publisher: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs – Morocco.
- Facilitation in the Seven Recitations of Danny - Othman bin Saeed Al-Dany Abu Amr Al-Andalusi – Dar Islamic Books – Beirut – (1nd Ed) 1416H.
- The Right Answer for Those Who Changed the Religion of Christ - Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Taymiyah Al-Harrani - Publisher: Dar Al-Asimah Riyadh، (1nd Ed)، 1414H، Investigator: Ali bin Hassan bin Nasser - Abdul Aziz bin Ibrahim Al-Askar.
- Al-Sahah، Language Crown، and Al-Sahh Al-Arabia - Ismail bin Hammad Al-Gohari- Publisher: Dar al-Alam for millions – Beirut، (4nd Ed) january 1990M.
- Al-Mustadrak Al-Sahihin - Muhammad bin Abdullah al-Hakim al-Nisaburi Abu Abdullah - Publisher: House of Scientific Books – (1nd Ed) 1411H/1990M. The investigator: Mustafa Abdel Qader Atta.
- The Great Dictionary (Al-Tabarani Grand Dictionary) - Suleiman bin

Ahmed bin Ayoub al-Tabarani Abu al-Qasim - Publisher: Ibn Taymiyyah Library – (2nd Ed) 1404H/1983M، Investigator: Hamdi Abdul Majeed Al-Salafi.

- The Illuminating Lamp in Gharib Al-Sharh Al-Kabeer - Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Fayoumi then Hamwi، Abu Al-Abbas (deceased: about 770 AH) - Publisher: The Scientific Library – Beirut.
- Vocabulary in Gharib Al-Qur’an - Ragheb Al-Isfahani - Publisher: The Scientific Library – Beirut (1420H).
- Al-Manar Al-Munif in Al-Sahih and Al-Da'eef - Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub Ibn Qayyim al-Jawziyyah Abu Abdullah – Dar Alam Al Fawaaid، (1nd Ed) 1428H. Investigator: Yahya bin Abdullah Al-Thumali.
- Muntaqa Sharh Al-Muwattat - Abu Al-Walid Suleiman bin Khalaf bin Saad bin Ayoub bin Warth Al-Tajibi Al-Qurtubi Al-Baji Al-Andalusi (died: 474 AH) - Dar Al-Kitab Al-Islami، Cairo.
- End in Fitn and Epics - Abu al-Fedaa Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi al-Basri then Damascene (died: 774 AH) - Publisher: The Scientific Library – Beirut 1408H/1988M (1nd Ed) Investigator: Abduh As-Syafei.
- The End in Gharib Al-Hadith and Al-Athar - Mubarak bin Muhammad Al-Jazari bin Al-Atheer Majd Al-Din Abu Al-Saadat – Publisher Dar ibn Al Jawzi (1nd Ed) 1421H، Investigator: Ali Hasan Abdul Hameed.
- Adequate mortality - Salah al-Din Khalil bin Aybik Safadi - Publisher: Arab Heritage Revival House Beirut، 1420H. Investigator: Ahmeed Al Arnaot.
- The bride's crown of dictionary jewels - Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Mortada Al-Zubaidi- Publisher: Dar Al Hidayah.
- The Great Interpretation of the Qur’an (Tafsir Ibn Katheer) - Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi Damascene Abu al-Fida Imad al-Din- Investigator: Sami bin Mohammed Al-Salama- Publisher: Dar Taibah (2 nd Ed) 1420H.
- Refining Discipline - Ahmed bin Ali bin Muhammad bin Hajar al-Asqalani Shihab al-Din Abu al-Fadl- Publisher: Dar El fikr Beirut، (1nd Ed) 1404H/1984M.
- Refinement of Language - Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Herawi، Abu Mansour (deceased: 370 AH) - Publisher: Dar Ihya Arab Heritage – Beirut (2001M).
- Facilitating the Most Gracious، Most Merciful to Interpret the Words of Mannan - Tafsir Al-Saadi- Investigator: Abdul Rahman bin Mualla Al-Luhaig- Publisher: Ar-Risalah- (1nd Ed) 1420H.
- Al-Bayan Mosque on the interpretation of the Qur’an (Tafseer Al-Tabari)

- Mohammed bin Jarir Al-Tabari- Investigator: Ahmed Mohammed Syakeer، Publisher: Al-Resala Foundation، (1nd Ed) 1420H.
- Evidence of Prophethood and Knowledge of the Status of the One Who Sharia- Ahmed bin Al-Hussein bin Ali bin Musa Al-Bayhaqi Abu Bakr- Investigator: Abdul Muti Qalaji- Publisher: Scientific Books House - Al-Rayyan Heritage House- (1nd Ed) 1408H/1988M.
- Sunan Ibn Majah- Muhammad bin Yazid bin Majah Al-Qazwini Abu Abdullah-Dar El fikr Beirut. Detective: Mohamed Fouad Abdel Baqi.
- Biographies of the Flags of the Nobles - Biography of the Prophet - Biography of the Rightly Guided Caliphs - The Missing Part-Muhammad bin Ahmed bin Othman al-Dhahabi Abu Abdullah Shams al-Din- Publisher: Al-Resala Foundation، Beirut – (9 nd Ed) 1413H، The investigator: Shoaib Al-Arnaout - Bashar Maarouf – others.
- Sahih Al-Bukhari - Muhammad bin Ismail Al Bukhari Abu Abdullah-Dar Al Qalam، Beirut (1987M).
- Sahih Muslim- Muslim bin Hajjaj-Dar Ihya Turats Al Arabi 1972M.
- Sahih Muslim with Explanation of Al-Nawawi -Al-Nawawi- Publisher: (2 nd Ed)- Qordoba Foundation.
- Interpreters' classes- Muhammad bin Ali bin Ahmed Al-Dawoodi Shams Al-Din- Publisher: House of Scientific Books- (1 nd Ed) 1417H. Investigator: Solaeman ibn Shalih Al Khozy.
- Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari -Ahmed bin Ali bin Hajar al-Asqalani Abu al-Fadl Shihab al-Din-Investigator: Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz - Muhammad Fouad Abdel Baqi - Moheb Al-Din Al-Khatib-Publisher: Al-Salafiya Press and Library – Cairo.
- Opening the Collective Power between the technician of the novel and know-how from the science of interpretation (interpretation of Al-Shawkani)- Muhammad bin Ali bin Muhammad Al-Shawkani.
- Book of Tariffs The- Ali bin Muhammad bin Ali Al-Zain Al-Sharif Al-Jarjani (died: 816 AH)-Dar Nafaais (1 nd Ed) 1424H. Investigator: Mohammed Abdurrahman Al Mar'asyali.
- The Tongue of the Arabs - Muhammad bin Makram bin Manzoor، the Egyptian African، Jamal Al-Din Abu Al-Fadl- Publisher: Dar Sader – Beirut- (1 nd Ed).
- The Compound of the Increases and the Source of Benefits- Ali bin Abi Bakr Al-Haythami Nuruddin-Dar el fikr – Beirut، 1412H.
- A collection of fatwas and various articles- Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz- Investigator: Mohammed bin Saad Al-Shuwayer- (4 nd Ed) 1423H.
- Musnad Ibn Abi Shaybah- Abdullah bin Muhammad bin Ibrahim bin Abi Shaybah al-Absi al-Kufi Abu Bakr- Investigator: Adel bin Yousef Al-

Azazi - Ahmed bin Farid Al-Mazidi- Publisher: Dar Al-Watan – Riyadh-1997M.

- The Imam of Imam Ahmad ibn Hanbal- Ahmed bin Hanbal-Tarikh Al Araby Foundation- Dar Ihya Turats Al Araby، 1991M.
- East lights on the correctness of antiquities- Ayaz Moussa Ayad Al-Yahssabi Al-Sabti Al-Maliki Abu Al-Fadl-Dar An-Nasyr- Dar Turats Beirut.
- Compiled by Abdul-Razzaq، followed by Al-Jame 'Book by Muammar Bin Rashid Al-Azdi- Abdul Razzaq bin Hammam Al-San’ani Abu Bakr - Muammar bin Rashid Al-Azdi- Al Maktabah Al Islamy (2 nd Ed)1403H. Detective: Habibur Rahman al-Adhami.
- The Literature Glossary instructing the Arab to know the writer- Yacout El-Hamwi-Dar- Dar Islamic Books – Beirut – (1 nd Ed) 1411H.
- Lexicon of Language Metrics- Ahmed bin Faris bin Zakaria Abu Al-Hussein- Investigator: Abdul Salam Muhammad Harun.
- Neil Al-Awtar Explaining the News Picker From Sayings of Sayyid Al-Akhyar - Muhammad bin Ali bin Muhammad Al-Shawkani.

***